

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف المسيلة

الميدان: لغة وأدب عربي
فرع أدب عربي
تخصص: أدب



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
الرقم: L15/534
جزائري

مذكرة مكملّة لنيل شهادة الماستر أكاديمي
إعداد الطالب: بن عمارة سعيد

تحت عنوان

الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة في فترة
التسعينيات

رواية "المراسيم والجنائز" لبشير مفتي أنموذجا

لجنة المناقشة:

- | | | |
|--------------|----------------------------|--------------------|
| رئيسا | جامعة محمد بوضياف بالمسيلة | - د.بوزيد رحمون |
| مشرفا ومقررا | جامعة محمد بوضياف بالمسيلة | - د.بركاتي السحمدي |
| مناقشا | جامعة محمد بوضياف بالمسيلة | - د.حكيم سليمان |

السنة الجامعية: 2017/2016م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى بلد المليون ونصف المليون شهيد

إلى من ضحوا بأرواحهم في سبيل الوطن شهدائنا الأبرار

إلى من سهرت الليالي نغمنا بحنانها وعطفها إلى من علمتنا
الأخلاق الفاضلة

إلى من تعبت من أجل راحتنا إلى أمي الحبيبة

إلى من كان عوننا وسندنا في الحياة إلى من كرس حياته
لإسعادنا

إلى الذي رعانا وأنشأنا نشأة صالحة إلى أبي الغالي

إلى من شاركوني كل أفراحي إلى إخوتي

شكر وعرفان

نحمد المولى العليّ القدير على توفيقه وعونه لنا في إتمام هذا العمل
المتواضع

وإنه لشرف لي أن أقدم بخالص الشكر والتقدير للأستاذ الفاضل
بركائي سحمدّي الذي تفضل بالإشراف على هذه المذاكرة،
وقدم لي بد العون والمساندة، ولم يخل عليّ بوفئه وجهده، فلآن
لإرشادائه الأثر الكبير في انجاز هذا العمل.
الشكر كل الشكر للزميل عليّ فؤاد
إلى كل عمال المكتبات، وأخص بالذكر مكتبة
روان للخدمات الجامعية وعلى رأسها الزميل عبد المتعم بركائي الذي
سهر على انجاز هذا العمل وإخراجه على هذه الحلة.

مقدمة

تميز المسار الأدبي الجزائري بالكثير من الخصائص ذات الطابع المحلي والثقافي، التي أعطته صبغة خاصة على مستوى الساحة الأدبية العربية، في مختلف الأجناس الأدبية، وتعد الرواية الجنس الأدبي الأمثل لمعالجة مختلف القضايا، والتعبير عن الواقع الاجتماعي بكل آفاقه من خلال تجسيدها للصراعات السياسية والإيديولوجية داخل المجتمع، وذلك الخطاب الأدبي الذي يعكس تلك الصراعات وما ينجم عنها من تأثيرات على الفرد والمجتمع.

شكلت الرواية الوعاء الأنسب لترسيخ الوقائع والأحداث التاريخية خلال مراحل زمنية معينة بكل معالمها، وبما أن الرواية العربية الجزائرية الحديثة جاءت متأخرة في الظهور عن مثيلتها باللغة الفرنسية، حيث كانت البداية الفعلية مع رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة التي حملت المعالم الحقيقة للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ومن تبعه من الروائيين في فترة السبعينيات والثمانينيات، الذين نسجوا على منواله في ظل مناخ سياسي ثابت، ومع دخوله فترة التسعينيات بدأت الرواية العربية الجزائرية تكشف بذور التحول السياسي في ظل نقدها للواقع، لتتحول السياسية إلى بؤرة فكرية وجمالية ومن أهم القضايا التي تحملها الرواية الجزائرية، التي أنتجت الظروف التسعينية، بأقلام روائيين جزائريين عايشوا الأحداث وعكسوا آمالهم وآلامهم في تلك الرؤيا السياسية التي يكسوها الطابع الاجتماعي، ومن بين هؤلاء الروائيين المبدعين "بشير مفتي" الذي عكس الوعي السياسي للفئة المثقفة، وذلك التكامل بين الرؤيا السياسية والوعي الأدبي والفني الذي شكل التجربة الروائية للأديب.

تندرج أعمال الروائي "بشير مفتي" ضمن الروايات التي تعكس الواقع بمضامينه لرصد التحولات الحاصلة داخل المجتمع الجزائري، وخصوصاً وأن الأديب "بشير مفتي" يعد من الأدباء الذين تركوا بصمة لجيل من الأدباء يكتب لأول مرة الروائي الرواية تزامناً مع العشرية السوداء، حيث تمتاز أعماله بالتركيز على الجوانب السياسية

والاجتماعية، وتعد رواية "المراسيم والجنائز" فاتحة الأعمال الروائية المكتوبة باللغة العربية لبشير مفتي، والتي كانت بمثابة شهادة حية على العنف السياسي الذي عصف بجزائر التسعينات، لذلك أدرجنا موضوع دراستنا تحت عنوان الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة في فترة التسعينات رواية "المراسيم والجنائز" لبشير مفتي أنموذجاً.

والبحث يناقش إشكالية تجلّى البعد السياسي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية من خلال رواية "المراسيم والجنائز" لبشير مفتي؟

وبطرح التساؤلات التالية:

- كيف تمثل الروائي الجزائري المعاصر الخطاب السياسي في تجربته؟

- كيف عالجت رواية "المراسيم والجنائز" الواقع الراهن الجزائري؟

- هل استوعبت رواية "المراسيم والجنائز" الخطاب السياسي في زمن التسعينات؟

ولقد وقع الاختيار على هذا البحث لدوافع ذاتية وهي التعرف على المواقف السياسية للكاتب "بشير مفتي" من خلال تجربته الروائية تجاه الأوضاع التي سادت الجزائر في فترة التسعينات، ولأسباب موضوعية وهي معرفة كيفية تعاطي الروائي الجزائري مع رآهنة السياسي في التسعينات ومقدرته في التعبير عن المآزق السياسي والاجتماعي الذي مرت به الجزائر، بالإضافة إلى طرح هذا الموضوع الجديد للإفادة والاستفادة منه ونثر الغبار على بعض الأعمال التي قلت الدراسة فيها وقد اخترت من بينها رواية "المراسيم والجنائز".

المنهج المعتمد في دراستي لهذا البحث هو المنهج التاريخي إلى جانب المنهج الوصفي التحليلي، اتبعت في ذلك خطة اشتملت على مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة

وملخص للبحث، أما المدخل فقد كان عنوانه "قراءة في العنوان"، حيث حاولت الإلمام بمفاهيم كل من الخطاب والخطاب السياسي والرواية.

الفصل الأول جاء بعنوان "نشأة الرواية الجزائرية وعلاقتها بالسياسة"، تناولت فيه نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، والمكتوبة باللغة الفرنسية، وواقع الرواية الجزائرية، بالإضافة إلى علاقة الرواية بالسياسة وتعريف الرواية السياسية وملامح التعبير السياسي في الرواية الجزائرية.

أما الفصل الثاني فتمثل في الجزء التطبيقي حيث جاء بعنوان "مضامين الخطاب السياسي في رواية المراسيم والجنائز لمفتي بشير"، حاولت من خلاله الكشف عن المضامين التي حملها الخطاب السياسي، التي تجلت بدورها في البعد السياسي والاجتماعي والإيديولوجي والتاريخي.

ثم اختتمت هذا البحث بخاتمة تضمنت أهم النقاط المتوصل إليها خلال البحث، ثم تلتها قائمة المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها في دراسة هذا البحث.

وفي الأخير تم وضع ملخصا شاملا عن البحث مرفقا بنص مترجم له باللغة الفرنسية.

من أهم المراجع التي ارتكزت عليها في هذا البحث والتي أمدتنا بالمعارف النظرية: الرواية السياسية لطفه وادي، وصورة المرأة في الرواية الجزائرية لمفقودة صالح، أما في الجانب التطبيقي فتم الاعتماد على كتاب "المسألة الثقافية في الوطن العربي لمحمد عابد الجابري" بالإضافة إلى المرجعين السابقين.

ولقد واجهتني جملة من الصعوبات التي غالبا ما تواجه الباحث أثناء اشتغاله، وعلى رأسها قلة المادة العلمية وصعوبة جمعها خصوصا فيما يتعلق بمثل موضوع بحثنا هذا، بخاصة في الجانب السياسي وفي الجزء التطبيقي منه، بالإضافة إلى ندرة الدراسات

حول الخطاب السياسي في المجال الأدبي، ولقد أخصيت دراسة واحدة حول هذا الموضوع تمثلت في مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير من إعداد الطالبة زهرة خفيف تحت عنوان "الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة أنموذجاً"، بجامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009/2008، والتي كان صميم بحثها حول الصراع السياسي بقضاياها بين الاستعمار الفرنسي والشعب الجزائري، أما أنا في دراستي فلقد اخترت مدونة لروائي ينتمي إلى جيل جديد من الروائيين والذي عالج الانحراف السياسي الحاصل في التسعينات بين أبناء الوطن الواحد، فالخطاب السياسي يشمل مختلف الجوانب الحياتية، كما أنه منح للرواية سمات جمالية ولم يقتصر على البعد السياسي فقط، ولكن بعون الله عز وجل وتوفيقه، وإرشادات وتوجيهات الأستاذ المشرف جزاه الله خيراً، استطعت تجاوز تلك العقبات.

كما أشكر لجنة المناقشة الموقرة على قراءة هذه الدراسة بحيث سأستفيد من ملاحظاتهم وتوجيهاتهم القيمة في تصويب ما شاب هذا الدراسة من أخطاء والحمد لله رب العالمين.



مدخل تمهيدي

قراءة في العنوان

1- مفهوم الخطاب

أ - مفهوم الخطاب في الفكر العربي

ب - مفهوم الخطاب في الفكر الغربي

ج - الخطاب السياسي

2- مفهوم الرواية

أ - تعريف الرواية لغة

ب - تعريف الرواية اصطلاحاً

1- مفهوم الخطاب

يعد مصطلح الخطاب من المصطلحات الهامة في الدراسات النقدية واللغوية المعاصرة، وقبل الحديث عن الخطاب السياسي ومفهومه لا بد من تحديد مفهوم الخطاب بشكل عام.

أ- مفهوم الخطاب في الفكر العربي:

لتحديد دلالة ومعرفة هذا المصطلح في تراثنا العربي القديم لابد من العودة إلى النص القرآني الكريم والمعاجم العربية، لأن القرآن الكريم هو الكتاب الأكثر تطابقاً وتجانساً مع اللسان العربي، كما أن المعاجم العربية خاصة القديمة منها تساعدنا على الرجوع بالكلمة إلى أصلها اللغوي على فترة كبيرة.

وإذا تصفحنا القرآن الكريم نجد أن مادة _ خ _ ط _ ب ترددت اثني عشر مرة موزعة على اثني عشرة سورة، أما في كتب الحديث والسيرة يصعب علينا مدى تواتر هذا المصطلح. ونورد فيما يأتي بعض صيغ ورود مادة: خ _ ط _ ب في القرآن الكريم:

خاطبهم: قال تعالى ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁽¹⁾.

أي: "إذا سفه عليهم الجاهل القول السيء لم يقابلوههم عليه بمثله بل يعفون ويصفحون، ولا يتولون إلا خيراً"⁽²⁾.

¹- سورة الفرقان، الآية 63.

²- أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج3، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 2006م، ص 1342.



تخاطبني: قال تعالى ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾⁽¹⁾.

أي: "لا تراجعني في إهلاكهم"⁽²⁾.

الخطاب: قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابَ﴾⁽³⁾.

قال مجاهد: "هو الفصل في كلام وفي الحكم"⁽⁴⁾.

خطابا: قال تعالى ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾⁽⁵⁾.

أي: "لا يقدر أحد أن يخاطبه خوفا منه"⁽⁶⁾.

كما ورد مصطلح الخطاب في المعاجم العربية ومنها لسان العرب فيقول: ابن منظور «خطب: الخطب: الشأن أو الأمر، يقال ما خطبك؟، أي ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جليل، وخطب يسير، والخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة.

والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان"⁽⁷⁾.

وجاء في "مختار الصحاح"، في مادة خطب:

¹- سورة هود، الآية، 37.

²- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص 262.

³- سورة ص، الآية، 20.

⁴- أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص 1598.

⁵- سورة النبأ، الآية 37.

⁶- جلال الدين محمد احمد المحيي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تفسير الجلالين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 583.

⁷- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، مج 2، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، مادة، خ_ ط_ ب ص 262.



"خطب، الخطب بسبب الأمر تقول ما خطبك، قلت: قال الأزهري: ما أمرك، وتقول هذا خطب جليل وخطب يسير وجمعه خطوب، انتهى كلام الأزهري، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً"⁽¹⁾.

وكلمة الخطاب في _ أساس البلاغة للزمخشري نجد أنها أفادت: "خطب خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام"⁽²⁾.

إن الخطاب حسب ما ورد في المعاجم العربية القديمة لا يخرج عن دائرة التخاطبية بين شخصين، إذا تستوجب المخاطبة مرسل ومرسل إليه، فذلك يعني تبادل الكلام، ماعدا في الحالات الاستثنائية التي تفقد فيها الإجابة، مثل المخاطبة الذاتية، أو مع الإنسان الذي لا يرغب في الإجابة وبالتالي يمكن القول أن المعنى اللغوي للخطاب في المعاجم العربية القديمة يقتصر على الكلام المنطوق.

لقد ارتبط مصطلح الخطاب بالقناة المؤدية له، وهي اللغة التي عرفها ابن جني "على أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽³⁾.

فنجد في هذا التعريف ثلاثة عناصر أساسية، ترتبط بالخطاب ومن صميم الدرس اللساني وتحليل أغراض الخطاب وأقسامه.

- طبيعة اللغة من حيث أنها أصوات.
- وظيفتها تعبيرية ووسيلة من وسائل التواصل الإنساني.
- اجتماعية ومرتبطة بالجماعة اللغوية.

¹- محمد بن أبو بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، لبنان، د.ط، 1986، مادة خ.ط.ب ص 76.

²- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، مادة "خ_ط_ب"، ص255.

³- ابن جني، الخصائص، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط2، د، ت، ص 33.



أما الخطاب عند أبي حامد الغزالي فقد حصره في وضع شروط للخطاب وذلك "بأن يخلق الله تعالى في السامع علما ضروريا بثلاثة أمور: بالمتكلم وبأن ما سمعه من كلامه، وبمراده من كلامه، فهذه ثلاثة أمور لابد وأن تكون معلومة"⁽¹⁾.

معنى هذا أن عملية التخاطب أو العملية الخطابية في نظر "أبو حامد الغزالي" أن تكون بين شخصين، مرسل ومتلقي، متكلم و سامع، ويجب على المخاطب أن يسمع جيدا لكلام المخاطب فاهما مراده وقصده من كلامه حتى تتم عملية التواصل.

أما "الكفوي" يحدد مصطلح الخطاب لفظا ودلالة بقوله "الخطاب: اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"⁽²⁾.

مما لا شك فيه أن _ الكفوي _ قد رسم حدودا دقيقة وكاملة ومعايير علمية لحلقة الخطاب، فالمخاطب لابد من توفر قصد إفهام وإبلاغ الرسالة، والخطاب والسامع لابد عليه أن يكون مستجيبا لصاحب الخطاب.

أما مصطلح الخطاب في النقد العربي الحديث، ليس امتدادا وتطويرا للمفهوم العربي القديم، إذا ظلّ المصطلح محصورا في إطاره دون رعاية وتطوير، حيث استبدل مصطلح الخطاب عند النقاد العرب المحدثين بالمفهوم العربي، فمفهوم الخطاب «مصطلح واضح الدلالة في الأصول، ولا يثير فيها دلالة وممارسة، أي إشكالية، إنما تكمن الإشكالية الأساسية في اجتذاب السري خارج حقله وشحنه بدلالات غريبة عنه، وذلك بتأثير مباشر من المحمول الدلالي لمصطلح الخطاب discours الذي تتخلل في ثنايا الشبكة الدلالية لمصطلح الخطاب»⁽³⁾.

¹ - الغزالي، المستصفى في علم الأصول، ج1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 1997، ص229.

² - الكفوي، الكليات الخمس، القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، 1982، ص286.

³ - عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999، ص 117.



وعلة ذلك أنّ النقد العربي الحديث يتكئ على النقد الغربي، وينقل مفاهيم ومصطلحات تتصل بذلك الموروث الثقافي الغربي للموروث العربي الأصل.

ب - مفهوم الخطاب في الفكر الغربي:

في المفهوم اللساني المعاصر تعددت مظاهر الخطاب في المدارس اللسانية المعاصرة، ظهر ونما وتطور في ضل التفاعلات التي عرفت هذه الدراسات ولاسيما بعد ظهور كتاب «محاضرات اللسانيات العلمية» لـ: "دي سوسير"، الذي تضمن المبادئ العامة والأساسية التي جاء بها هذا الأخير وأهمها تمييزه وتفريقه بين الدال والمدلول، واللغة لظاهرة فردية وبلورته لمفهوم السنن أو النظام والذي تطور فيما بعد إلى البنية، وفي كل هذه الاستعمالات تبقى لفظة خطاب غامضة في زمن كثر فيه استعمال هذا المصطلح يعود ذلك لكونه علامة من التحولات طرأت على إدراكنا وتصوراتنا لمفهوم الكلام وهذا التحول ناتج عن تأثير مجموعة من العلوم الإنسانية والاجتماعية، ونظرا لتعدد الاتجاهات والمدارس اللسانية الحديثة حيث يعرف "بنفنيست" الخطاب على أنه "كل حديث يفترض متكلما ومتلقي، للأول فيه التأثير على الثاني، فالحديث يشمل قبل كل الخطابات الشفوية بتتوعها من كل طبيعة ومن كل مستوى"⁽¹⁾.

أما "فان ديك": ذهب إلى أنّ الخطاب "يرتبط ارتباطا وثيقا بفعل الكلام الذي ينجز بواسطة التلفظ بذلك الخطاب في سياق التحوار"⁽²⁾.

فالخطاب عند _ فان ديك _ يتجسد في كل ما يتلفظ به الإنسان في حياته، وما يمكن أن ينطقه ويصدر منه من ألفاظ وعبارات قد تعبر عن أحواله الخارجية، مؤسسا على ثنائية المخاطب والمخاطب، تحكمها الوظيفة الخارجية.

¹ - ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، د.ط، 2005، ص 143.

² - فان ديك، النص والسياق، تر، عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د.ط، 2000، ص 323.



أما الخطاب في البحث النقدي فهو: "فعل النطق، أو فاعلية تقول، وتصوغ في انتظام ما يريد المتحدث قوله، الخطاب إذن كتلة نظيفة لها طابع الفوضى وحرارة النفس، ورغبة النطق بشيء ليس هو تماما النص، بل هو فعل يريد أن يقول"⁽¹⁾، إذن الخطاب فاعلية ينتجها مخاطب في مكان وزمان تاريخي تحكمها علاقات اجتماعية بين الناس فالخطاب "يشكل وحدة اتصال مرتبطة بظروف إنتاج معينة، أي كل ما هو من قبيل نوع خطابي معين: نقاش متلقى، مقالة صحفية، رواية"⁽²⁾، ومنه فالخطاب "الاتصال اللفظي، الشفهي، الحديث والمحادثة"⁽³⁾، لأن الخطاب يتنوع بتنوع الأساليب التي يتخذها المتكلمون أو الكتاب، فتننتج بذلك أنواع من الخطابات، مثل الخطاب الديني، الخطاب السياسي، الخطاب العلمي، الخطاب الثقافي.

أخيرا يمكن القول على الرغم من تعدد مفاهيم مصطلح الخطاب انطلاقا من تعدد المهتمين به، فإنّ هذا التعدد والتمايز والاختلاف، قد حقق التكامل لمصطلح الخطاب، وأعطاه بعدا ومفهوما واسعا تضمن جل الخصائص اللسانية والمنطقية والتواصلية التي شكلت وكونت الخطاب.

¹- رابح بوحوش، الأسلوب وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، د.ط، د.ت، ص 85.

²- دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر، محمد لحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008، ص 38.

³- سارامليز، مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، تر، عصام خلف كامل، دار فرحة للنشر والتوزيع، السودان، د.ط، 2003م، ص6.



ج - الخطاب السياسي:

عند الكلام عن الخطاب السياسي نجد أنّ المهتمين بالسياسة يحتاجون إلى استخدام لغة مؤثرة ومقنعة عند تقديم أفكارهم إلى الرأي العام، وقيامهم بنوع من الاتصال السياسي وهو : النشاط السياسي الموجه الذي يقوم به الساسة والإعلاميون أو عامة أفراد الشعب، والذي يعكس أهدافا سياسية محدودة تتعلق بقضايا البيئة السياسية، وتؤثر في الحكومة أو الرأي العام أو الحياة الخاصة للأفراد والشعوب من خلال وسائل الاتصال المتعددة⁽¹⁾.

يقول عبد العليم محمد بتعدد زوايا النظر إلى الخطاب السياسي: "ماهيته ووظائفه ودوره وعلاقته بالواقع الاجتماعي والاقتصادي، وبتعدد الأطر المعرفية والفكرية التي تقوم بمعالجته وتحليله... فالخطاب السياسي هو إيديولوجيا أو جزء منها على الأقل، والخطاب السياسي جملة من التصورات والمفاهيم والمقترحات عن الواقع الاقتصادي والاجتماعي في لحظة تاريخية محددة تتحدد فيها طريقة تصور الماضي والحاضر والمستقبل لمجتمع ما من وجهة نظر النظام الاجتماعي القائم، وتتميز هذه المفاهيم والتصورات بمنطق داخلي يحكمها بصرف النظر عن طبيعته"⁽²⁾.

يقول: محمد عابد الجابري: "إنّ الخطاب السياسي في الفكر العربي الحديث والمعاصر هو خطاب يمارس السياسة لا بوصفه خطابا في الواقع القائم، بل خطابا يبحث عن واقع آخر: فهو لا يواجه الواقع السياسي القائم ولا يدعو إلى تغييره أو إصلاحه انطلاقا من تحليله، بل إنه يقفز عليه لي طرح بديلا عنه، إما الواقع _ الماضي العربي

¹ - هدى عبد الغني ابراهيم باز، تحليل الخطاب السياسي عند مصطفى كامل، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الألسن، قسم اللغة العربية، جامعة عين الشمس، 2014، ص 22. نقلا عن، محمد بن سعود البشر، مقدمة في الاتصال السياسي، مكتبة العبيكان، ط1، د.ت، ص18.

² - هدى عبد الغني ابراهيم باز، تحليل الخطاب السياسي عند مصطفى كامل، ص 22. نقلا عن، عبد العليم محمد، الخطاب السياسي، تحليل الحقل الإيديولوجي للخطاب السياسي، كتاب الأهالي (27) أغسطس 1992م، ص28.



والإسلامي الممجد أو الواقع _ الحاضر الأوروبي في ثوبه الليبيرالي، وأما بعد الليبيرالي⁽¹⁾.

ويعرفه د. عبد العليم محمد بأنه: "تصور الواقع وتمثله على الصعيد العقلي _ أي نظريا _ في نظام المفاهيم التي تأخذ طابعا عاما مجردا ولكن بالمعنى غير العلمي للتجريد النظري، إلا أنه بين تصور الواقع والواقع ذاته، أو بين الحقيقي والطريقة التي يتم بها تصوره نظريا ثمة مساحة كبيرة تتداخل في جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية بل والمعرفية ترتبط بوضع اقتصادي واجتماعي ومحتوى طبقي معين يحول دون التعرف على الواقع كما هو أو تلمس قوانينه الموضوعية الفاعلة فيه التي تقر على ضوئها حركته ونموه"⁽²⁾.

إن الخطاب السياسي منطوقا أو مكتوبا، موضوعه الواقع السياسي القائم محاولا تغييره أو تشكيله، ويرتبط ارتباطا وثيقا بعوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية في المجتمع وتختلف الخطابات السياسية باختلاف منتجها أو مرسلها.

¹ - محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، (دراسة تحليلية نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1994م، ص 65.

² - عبد العليم محمد، الخطاب السياسي، ص 28. نقلا عن، هدى عبد الغني ابراهيم باز، تحليل الخطاب السياسي عند مصطفى كامل، ص 13.



2- مفهوم الرواية

لاشك في أن الرواية تعد من أكثر الأجناس الأدبية استيعاباً للواقع ومتغيراته ولهذا شكل الحديث عن هذا الجنس الأدبي حديثاً مهماً للغاية، فلقد كانت هذه الأخيرة بمثابة وعاء تسكب فيه أفكار ورغبات وأحاسيس الناس في صراع مع واقعهم ومحيطهم في المجتمع مما سلط الضوء على هذا الجنس الأدبي، ومن هنا سنحاول تعريف الرواية من خلال الجهود التي بذلها النقاد والدارسون لتعريف هذا الجنس الأدبي.

أ- تعريف الرواية لغة:

قال الجواهري: "رويت الحديث والشعر رواية فأنا راوي في الماء والشعر من قوم رواة، ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته"⁽¹⁾.

لقد جاء في المعجم الوسيط قولهم: "روى على البعير ريا: استقى، روى القوم عليهم ولهم: استسقى لهم الماء، روى البعير، شد عليه بالرواء: أي شد عليه لئلا يسقط من ظهر البعير عند غلبة النوم، روى الحديث أو الشعر رواية أي حملة ونقله، فهو راو (ج) رواة، وروى البعير الماء رواية حملة ونقله، ويقال روى عليه الكذب، أي كذب عليه وروى الحبل ريا: أي أنعم فتله، وروى الزرع أي سقاه، والراوي: راوي الحديث أو الشعر حامله وناقله، والرواية: القصة الطويلة"⁽²⁾.

ومن خلال هذين التعريفين اللغويين يمكن القول بأن الرواية لغة تحمل معنيين اثنين فهي مشتقة من الفعل روى يروى ريا، ويعنى الحمل والنقل لذلك يقال رويت الشعر والحديث رواية، أي حملته ونقلته فهنا المعنى روحي موضوعي، أما المعنى الآخر مادي

¹- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مج 14، مادة "روى"، ص 348.

²- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، د.ط، د.ت، ص 384.



نفعي بمعنى حاجة العربي القديم إلى الماء في الصحاري ومنه فالرواية لغة لا تخرج عن كونها غذاء روحي ومادي أي الماء والشعر.

بما أن الرواية لغة لم يتضح مفهومها كجنس أدبي، فهي أيضا تحمل معان اصطلاحية مختلفة باختلاف الدارسين و النقاد وسنعرض بعض هذه المعاني.

ب - تعريف الرواية اصطلاحا:

نبدأ بأول تعريف للرواية اصطلاحا وقد يكون أبسط تعريف لها هو أنها "جنس أدبي يشترك مع الأسطورة و الحكاية... في سرد أحداث معينة تمثل الواقع وتعكس مواقف إنسانية، وتصور ما بالعالم من لغة شاعرية وتتخذ من اللغة النثرية تعبيراً لتصوير الشخصيات والزمان والمكان والحدث يكشف عن رؤية العالم"⁽¹⁾.

وجاء في تعريف آخر للرواية لعزيزة مريدن حيث تقول: "هي أوسع من القصة في أحداثها وشخصياتها، عدا أنها تشغل حيزاً أكبر، وزمن أطول، وتتعدد مضامينها، كما هي فن القصة، فيكون منها الروايات العاطفية، والفلسفية، والنفسية، والاجتماعية، والتاريخية"⁽²⁾.

أما معجم المصطلحات الأدبية لفتحي إبراهيم فقد جاء فيه أن: "الرواية سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية، من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال، والمشاهد، والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية الوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صاحبها من تحرير الفرد من رقبة التبعية الشخصية"⁽³⁾.

¹- سمير سعدي، النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2005، ص 297.

²- عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1971 م، ص 20.

³- فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للنشر المتحددين، تونس، د.ط، 1988م، ص 176.



وعرفتھا الأكاديمية الفرنسية بأنها: "قصة مصنوعة مكتوبة بالنثر يثير صاحبھا اهتماما بتحليل العواطف ووصف الطباع و غرابة الواقع"⁽¹⁾.

ونجد من عرف الرواية بأنها: "مجموعة حوادث مختلفة التأثير تمثلھا عدة شخصيات على مسرح الحياة الواسع، شاغلة وقتا طويلا من الزمن ويعتبرھا بعض الباحثين الصورة الادبية النثرية التي تطورت عن الملحمة القديمة"⁽²⁾.

وهناك من يعرفھا بأنها: "هي رواية كلية وشاملة وموضوعية أو ذاتية، تستعير معمارھا من بنية المجتمع، وتفسح مكان التعايش فيه لأنواع الأساليب، كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة جدا"⁽³⁾.

ومن خلال هذا التعريف نرى بأن الرواية تتميز: بالكلية والشمولية في تناول الموضوعات، وأنها نابغة من صلب المجتمع، وتقسم معمارھا على أساسه، وتفسح المجال لتجاوز المتناقضات من خلال التعاريف السابقة يمكن القول أن الرواية هي فن من فنون السرد، أو هي فن نثري يتناول مجموعة من الأحداث التي تنمو وتتطور أو تقوم بها شخصيات متعددة في مكان وزمان، حيث يكون المكان أوسع من مكان القصة، والزمان أطول من مكانها نسبيا، وما يميز الرواية عن غيرها من الأجناس الأدبية هو أنها مفتوحة على كل الأنواع الأدبية الأخرى.

ومن خلال ما جاء في هذه القراءة للعنوان يمكن القول بأن الرواية هي محور العلاقة بين الذات والعالم وبين الخيال والواقع وهي الخطاب الاجتماعي والسياسي، والأيدولوجي المستوحى من المجتمع وتأخذ الرواية والخطاب من الإنسان والطبيعة والتاريخ والعقيدة مواضيع لهما، ومن أنواع الرواية، الرواية السياسية التي تحوي الخطاب

¹- مصطفى الصاوي الجويني، في الأدب العالمي القصة، الرواية والسيرة، منشأة المعارف الإسكندرية، د.ط، 2002، ص 13.

²- أحمد أبو سعد، فن القصة، ج 1، منشورات دار الشرق الجديدة، د.ط، 1959 م، ص 25.

³- العروي عبد الله، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، تر، محمد لعبتاني، دار الحقيقة، بيروت، د.ط، 1970 م، ص 275.



السياسي وأبعاده الاجتماعية والواقعية فالسياسة غالبا ما تكون حاضرة في مختلف الأجناس الأدبية سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ويشحن الخطاب السياسي بتعاليم تنزع إلى توضيح حقيقة عقائدية وسياسية، وتصبح هذه التعاليم العقائدية السياسية بؤرة تعكس صورة معالمها من المجتمع في الرواية ومنه فالرواية بكل أنواعها وخطاباتها المتفتحة على كل الأجناس الأدبية بما فيها الخطاب بأنواعه هي مرآة المجتمع .



الفصل الأول

نشأة الرواية الجزائرية وعلاقتها بالسياسة

1- نشأة الرواية الجزائرية.

أ- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية.

ب- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

2- واقع الرواية الجزائرية.

3- علاقة الرواية بالسياسة.

4- تعريف الرواية السياسية.

5- ملامح التعبير السياسي في الرواية الجزائرية.

1- نشأة الرواية الجزائرية:

أ- نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية:

لم يكن الأدب الجزائري بمعزل عن ما كان يحدث في المشرق، وقد تأثر بشكل واضح عن طريق الرحلات والبعثات العلمية، والمجلات التي كانت تصل إلى الجزائر، وإنه "من التعسف القول أن الرواية العربية ولدت في القرن العشرين أو نهاية القرن التاسع عشر من لا شيء إذ أنها نشأت في تربة غنية بتقاليد أدبية عريقة"⁽¹⁾.

هذا التأثير نفسه الذي عرفته الرواية الجزائرية، فهي لم تنشأ من العدم ولم تكن مفصولة عن هذه الظروف، إلا أنها كانت تختلف قليلا عن مثيلاتها في العالم العربي، فلقد امتلكت تقاليد فنية وفكرية وطابعا محليا.

وانطلاقا مما عاشته الجزائر من ممارسات تهدف إلى تشويه الثقافة وطمس الهوية ومحو الشخصية والقضاء على الوازع الديني يؤكد ما كان مع الرواية العربية، وارتبط تأخر ظهور الرواية في الأدب الجزائري بالاستعمار الفرنسي الذي حاول ساعيا إلى تدمير مقومات الشعب الجزائري وفرض الركود والقهر والحرمان خوفا من انتشار الوعي، وامتد به الأمر إلى محاولة الوقوف حتى ضد الثقافة الشعبية بأنواعها من أساطير وحكايات وتراث وشعر شعبي، بالإضافة إلى تضيق الخناق على التعليم وحصره في نخبة ضيقة والمتمثلة في أتباع فرنسا، ووضع الصحف والنوادي تحت الرقابة الاستعمارية، كل هذه العوامل وغيرها أدت إلى ظهور الرواية الجزائرية وبقية الفنون الأدبية كالشعر والمقال وغيره، ذلك أن طبيعة الصراع السياسي والحضاري الذي عاشه الشعب الجزائري "تقتضي الانفعال في النظرة، والسرعة في رد الفعل، وعدم التأني في التعبير عن المواقف والمشاعر، وهي شروط جعلت الأديب يميل إلى القصيدة الشعرية

¹ - أحمد قاسم سيزا، بناء الرواية - دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، د.ط، 2004، ص 28.

والأفصوصة التي تعبر عن اللحظة العابرة أكثر مما تعبر عن موقف مدروس في أبعاده إيديولوجية وفنية واضحة⁽¹⁾.

إن ظروف ودوافع نشأة الرواية الجزائرية "غير مفصولة عن حادثة هذه النشأة في الوطن العربي كله، مشرقه ومغرب، سواء في نشأتها الأولى المترددة، أو في انطلاقها الناضجة، ولم تأت هذه النشأة عموما بمعزل عن تأثير الرواية الأوربية بأشكال مختلفة، وهي نشأة تختلف ظروفها بطبيعة الحال من قطر عربي إلى آخر من دون أن نسهو عن جذورنا المشتركة عربيا"⁽²⁾.

ومن الطبيعي جدا أن تنشأ القصة الطويلة أولا ثم تليها بعد ذلك الرواية، ويكاد يجمع النقاد والدارسون على أن البداية الفعلية للرواية الجزائرية الناضجة بلسان عربي كانت مع رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة سنة 1971 م كما كان الشأن بالنسبة لرواية "زينب" سنة 1914 لمحمد حسين هيكل.

ولكن قبل ذلك كيف كان المسار القصصي للأدب الجزائري قبل "ريح الجنوب" التي أنتجها بن هدوقة؟

للإجابة عن هذا السؤال لا بد من الرجوع إلى القصة بوجه عام وليس تحديدا الرواية، فلقد كانت القصة الطويلة والتجربة الأولى في هذا المجال لمحمد بن إبراهيم المدعو الأمير مصطفى والمسماة "حكاية العشاق في الحب والاشتياق" سنة 1948 وهي من نوع القصص التي تحمل مضامين شعبية "لجوها ولغتها، وسمات الرواية الفنية التي أساء إليها خصوصا شيوع الدارجة (الجزائرية)"⁽³⁾، وبعدها تطورت الرواية إلى المستوى الفني المعروف من شخصيات ولغة المتمثلة في رواية أحمد رضا حوحو "غادة أم القرى" سنة

¹- محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1983، ص 7.

²- بن قينة عمر، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1995، ص 195.

³- بن قينة عمر، في الأدب الجزائري الحديث، ص 197.

1947 التي تضمنت معاناة المرأة العربية والحجازية خاصة والتي أهداها للمرأة الجزائرية التي لم تكن تبتعد كثيرا عنها وكان ذلك في 1947 م، ثم تلتها بعد ذلك رواية "طالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي سنة 1951 م والتي تصور حياة طالب تونس وقع في حب فتاة تونسية، ولا يمكن اعتبار هاتين الروايتين إلا قصتين طويلتين ليس غير، كما أشار إلى ذلك الزميل ركيبي بحق، ونحن نعرف الفرق دقيق جدا بين الرواية والقصة الطويلة، وكثيرا من الباحثين والنقاد يعتبرونهما فنا واحدا والواقع أن الرواية غير القصة الطويلة، في أكثر تفصيلا، وأوسع نظرة وأشمل في الزمان والمكان⁽¹⁾.

غير أن الكثير من الدارسين الجزائريين يرون بأن "ريح الجنوب" للأديب عبد الحميد بن هدوقة تعتبر بحق الرواية الفنية المكتملة التي يؤرخ بها لمرحلة ما بعد الثورة والتي جاءت بعد حوالي عقد تقريبا من الاستقلال الوطني واسترجاع الحرية "في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية فانجزها في نوفمبر 1970م تركية للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزلته"⁽²⁾.

ومن خلال ذلك يمكن اعتبار هذه الرواية الأولى والتي تضمنت فعليا الجانب الاجتماعي للشعب الجزائري في الصميم، والمرأة والريف وقساوة الطبيعة، والمرأة وتعايشها الاجتماعي والمناخ النفسي الذي تعيش فيه، وتلك الآمال المترفة للخروج من العزلة، وحاول الأدباء بعدها النسيج على هذا المنوال من الناحية الاجتماعية والأيدولوجية وامتاز الأدباء بعد الاستقلال "وأهم الأمور في نظرنا هو اشتداد شعور القاص الروائي المعاصر بدوره في المسيرة الاجتماعية التي تسيرها بلادنا منذ الاستقلال"⁽³⁾.

¹- مصايف محمد، النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983، ص 117.

²- بن قينة عمر، الأدب الجزائري الحديث، ص 198.

³- محمد مصايف، النشر الجزائري الحديث، ص 119.

وقد جاءت بعد "ريح الجنوب" رواية أخرى وهي "اللاز" سنة 1974 م للطاهر وطار لكي "تخطو في مرحلة التأسيس هذه خطوة متقدمة ذات اعتبار، إن لم تكن بالموضوع فبالمعالجة المتطورة، وهي تجمع ملامح من أشكال سلوك في واقع الثورة الجزائرية (1954 – 1962) وواقع ما بعد الاستقلال، وما أفرزه الوضع من آفات مختلفة سياسية وثقافية واجتماعية"⁽¹⁾، وهي من الروايات التي تتضمن الكثير من الظواهر الاجتماعية كالفقر والبطالة... الخ.

ويمكن اعتبار "اللاز" و"ريح الجنوب" على اختلاف مضمونهما الإيديولوجي والاجتماعي اللذان يمثلان القاعدة الصلبة لنشأة وانطلاقة رواية جزائرية فعلية باللغة العربية، ثم تلتها بعد ذلك الكثير من الأعمال الروائية لعبد الحميد بن هدوقة وطاهر وطار وغيرهما من أمثال عبد المالك مرتاض ونور الدين بوجدره ومحمد مصايف ومن عقبهم من الروائيين المبدعين.

ب - نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية:

لقد كان للاستعمار الفرنسي أثر كبير على المجتمع الجزائري بصفة عامة وعلى المبدعين بصفة خاصة، في مختلف النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، مما أدى إلى تضيق الخناق على الأدباء الجزائريين آنذاك، بفعل المناخ العام الذي كانوا يعيشون فيه، وعلى الرغم من ذلك تفاعل الروائيون الجزائريون مع محيطهم وكانوا شهودا على ذلك الواقع.

إن الحصار الذي كان مفروضا على اللغة العربية دفع بالروائيين الجزائريين إلى اللغة الفرنسية للتعبير عن ذواتهم ومعالجة بعض قضايا المجتمع الجزائري "فكانت اللغة الفرنسية سبيلهم لمحادثة هذا الطرف في ظل الظروف التي فرضها هذا المستعمر على اللغة العربية بصفاتها اللغة الأم، ولأن اللغة تعتبر الجزء الأهم من مقومات هوية الأمة فقد

¹ - بن قينة عمر، الأدب الجزائري الحديث، ص 220.

استعملت فرنسا جميع الأساليب للقضاء على اللغة العربية، فقد كان غزو فرنسا للجزائر غزوا شاملاً⁽¹⁾، ومن هنا كانت الانطلاقة الفعلية للرواية المكتوبة باللغة الفرنسية، والتي طرحت القضية الوطنية ولم تخلو من الحس الوطني، وإسقاط معاناة الشعب الجزائري من ويلات المستعمر الغاشم "كان على منتجي الرواية باللغة الفرنسية، خلق مسافة لتأمل التاريخ ونقد الذات ونقد الآخر. فمن خلال هذه المسافة وفي ظل هذه المساحة بدأ الإعلان عن نص روائي جديد يبشر بإنسان جديد وب عقل جديد، قلب موازين البطولة الروائية، فإذا كان الآخر (الفرنسي) هو المركز في الرواية الاستعمارية فـ (الأنا) أي "الأهلي" هو الهامش، وفي النص الجديد ولد إنسان جديد"⁽²⁾.

وتتميز إنتاج هؤلاء الروائيين بالواقعية النقدية للواقع ومعاناة مجتمعهم، وتسليط الضوء على أساليب عيشه، ونذكر من أمثال هؤلاء: الكاتب ياسين، مولود فرعون، مولود معمري، محمد ديب، مالك حداد.. الخ.

يقول مالك حداد: "لقد أراد الاستعمار ذلك، لقد أراد الاستعمار أن يكون عندي هذا النقص، لا أستطيع أن أعبر بلغتي"⁽³⁾، فهو يشعر بالعجز أمام قيود المستعمر، كلما أراد أن يعبر عن آمال وطموحات الشعب الجزائري باللغة الفرنسية، ولكن في نفس الوقت هناك من يرى أن اللغة الفرنسية سلاح فتاك في يده، وليست انتماء للثقافة الفرنسية ومن هؤلاء محمد ديب الذي يقول: "إن كل قوى الخلق والإبداع لكتابنا وفنانينا بوقوفها على خدمة اخوانهم المظلومين تجعل من الثقافة سلاحا من أسلحة المعركة... ولأسباب عديدة فإنني _ككاتب_ كان همي الأول أن أضم صوتي إلى صوت الجموع"⁽⁴⁾.

¹ - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 7، 2011، ص 222.

² - نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، ص 223.

³ - محمد خضر سعاد، الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت، ص 89.

⁴ - المرجع نفسه، ص 85.

ومن خلال ذلك يمكن القول بأن الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، الذي عبّر عن آلام وهموم الشعب الجزائري، رغم امتلاك مبدعيه لثقافة فرنسية إلا أن مضمونه يمثل صوت الشعب الجزائري، وما اللغة الفرنسية إلا وسيلة لبث ابداعاتهم، وما قاله محمد ديب ومالك حداد يفند مزاعم بعض النقاد الذين زعموا بعد الاستقلال أن هذا الأدب المكتوب باللغة الفرنسية أدب فرنسي وحاولوا الحاقه بالأدب الفرنسي، لكنهم فشلوا في ذلك، لأن الأدباء المبدعين لهذا الأدب أكدوا أن اللغة الفرنسية وسيلة تعبير فقط، وهو ما يؤكد مولود معمري بقوله: "ولا يجب أن نبكي وأن نشعر بالضيق لأننا نكتب باللغة الفرنسية، فأنا شخصيا إذا كتبت باللغة الفرنسية فإنني لا أشعر بأية عقدة نقص _فالكاتب مهما كانت اللغة التي يكتب بها إنما يقوم بعملية ترجمة لعواطفه وأفكاره ويبدل مجهودا كبيرا في سبيل التوصل إلى الشكل الذي يريده ... إنني أقول أن هذه فرصة بل إنها ثورة للثقافة الجزائرية"⁽¹⁾، ومنه فاللغة بالنسبة لمولود معمري مجرد وعاء للأفكار.

أما كاتب ياسين فاللغة بالنسبة إليه وسيلة تعبير فقط، حيث يقول: "والجزائر تملك أدوات تعبير عديدة فلماذا نحرّمها منها ولا تبقى غير واحدة"⁽²⁾، فهو يدعو إلى استغلال أدوات التعبير المتاحة للتعبير عن أوضاع الوطن.

نذكر بعض الروايات:

1- الدار الكبيرة (1952)، الحريق (1954)، النول (1957) وهي ثلاثية الأديب محمد ديب، ورواية الحريق تضمنت واقع المجتمع الجزائري بعاداته وتقاليده وظروف تعايش سكانه في الدار الكبيرة، أما النول فكشفت حال الحرفيين في المدن التي تختلف عن حياة الفلاحين البائسة إبان الاستعمار الفرنسي، أما الحريق فكشفت البؤس في الريف ومعاناة الفلاحين.

¹ - محمد خضر سعاد، الأدب الجزائري المعاصر ، ص 90.

² - المرجع نفسه، ص 90.

2- رصيف الأزهار لا يجيب لمالك حداد سنة 1958: رواية عربية بسماتها وفرنسية اللغة، بطلها خالد بن طوبال الذي تشتت نفسه بين رجولته العربية وعشيقته الفرنسية لتتغلب النزعة الوطنية، كما لهرواية "الانطباع الأخير" 1998 م.

3- ابن الفقير 1953، الأرض والدم 1957 م، للأديب مولود فرعون، حيث تناول في "ابن الفقير" حياة الفلاح الذي يجد ويكد دون أن يحصل أدنى مقابل للحياة الكريمة في ظل الاحتلال الفرنسي، أما رواية "الأرض والدم" فصورت عملية هجرة العمال من شمال إفريقيا بسبب الوضع الشاق للفلاحين في المستعمرات.

4- ظهور الأديب مولود معمري وكانت بدايته مع رواية "الهضبة المنسية" في 1952 م تتناول واقع الفرد القبائلي في ظل الاستعمار الفرنسي، وبعدها رواية "الأفيون والعصا" التي تمثل أهمية بالغة في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية في 1965م.

5- رواية "تجمة 1956" للكاتب ياسين التي تحمل في طياتها قيم تاريخية ونضالية، والتي مثلت الرواية الجزائرية في نشأتها على أكمل وجه.

ومن خلال ما سبق يمكن القول أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية هي أدب جزائري في صميمها، والتي نشأت في ظل الاحتلال الفرنسي والهموم الوطنية ومعاناة الشعب الجزائري، وقد صورت آمال وطموحات هذا الشعب الذي أراد التخلص من قيود المستعمر الغاشم، ولا يعاب على أصحابه أن إبداعاتهم جاءت بلسان فرنسي، لأن اللغة هي مجرد وعاء لنقل الأفكار، ولقد أظهر الأدباء من خلال أعمالهم باللغة الفرنسية نضجا من الناحية الفنية والقومية وإدراك الحس الوطني وترسيخ مآثر الشعب الجزائري عبر هذه الإبداعات.

2- واقع الرواية الجزائرية:

إن الرواية باعتبارها جنس أدبي فهي الأكثر استيعابا لواقع وقضايا المجتمع والوسيلة الأمثل للتعبير عنها، فالكتابة الروائية هي انعكاس للواقع الذي يتميز بدوره بالثراء ويتخلله التعقيد، وتهدف الرواية إلى تصوير الواقع بكل تمثلاته وجوانبه المختلفة، فالرواية الجزائرية كانت ظروفها صعبة وقاسية، بسبب ما أحدثه الاستعمار وما تركه من مخلفات كارثية على كافة الأصعدة وفي شتى الميادين حيث "كانت الوضعية العامة للجزائر عقب الاستقلال مزرية للغاية فاقتصادها منهك، ورؤوس الأموال تم تهريبها من طرف المستوطنين الفرنسيين، والانتاج الزراعي ضعيف ومفصول عن الانتاج الصناعي الضعيف بدوره، وفوق هذا كانت التبعية الاقتصادية لفرنسا بموجب اتفاقيات إيفيان التي تمس بحرية البلاد وسيادتها"⁽¹⁾.

كل هذه الظروف الصعبة الوضعية الاقتصادية المزرية ألقت بظلالها على الحياة اليومية للجزائريين، التي أقحمتهم في مشاكل اجتماعية ومادية لا تعد.

إن السلطات الاستعمارية وظفت مناهج تهدف من خلالها إلى إسقاط وإزالة مقومات الشعب الجزائري، وذلك لشغله وصد كل الأبواب في وجهه لعدم التفكير في الحرية أو الاستقلال، فانتهج المستعمر سياسة تهدف لجعل الشعب جاهلا، وقمع المفكرين والأدباء لتخلص من أي محاولة لإيقاظ الوعي لدى الشعب وقتل روح العزيمة في نفوس الجزائريين، وتجنب لأي ثورة شعبية سواء كانت سلمية أو مسلحة أو فكرية، وعلى الرغم من كل هذه العوائق إلا أنها تتخلص من عزيمة الشعب "وقد حمل الأدباء على عاتقهم مسؤولية المساهمة في معركة البناء وتصوير مظاهر الصراع العنيف الذي يخوضه سواد الشعب لإثبات وجوده يقول الأعرج واسيني: "فقد شهدت هذه الفترة وحدها - الستينات -

¹ - مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 2009، ص 26.

ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر من إنجاز... فكانت الرواية تجسيدا لذلك كله⁽¹⁾.

فالأديب باعتباره من الشعب لا بدَّ له من أن يقاوم بسلاح القلم الذي يملكه، والذي به يتم تصوير الواقع الأليم من طرف الأديب أو الروائي، بأسلوب فني راقٍ يقوم على متطلبات الصورة الروائية، وهذه الأوضاع السائدة فجرت ملكة الكتابة والتأليف لدى المبدعين من أدباء وروائيين، مما خلف عدد هائل من الإنتاج الأدبي المتمثل في أغلبه في الروايات.

أما فيما يخص الفترة التي سبقتها "الفترة السابقة فكانت التربة الأولى التي ستبنى عليها أعمال أدبية فيما بعد، يعزو الأعرج واسيني عن أسباب عدم ظهور الرواية في الستينات وتأخرها للسبعينات: لأن الظرف التاريخي بكل مفارقاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية، زيادة على أن ثقافة الأديب نفسه لم تكن لتساعده أو لتسهم في ظهور الرواية، ولكنها خلقت التربة الأولى التي ستبنى عليها أعمال أدبية فيما بعد، خصوصا مع التحولات الديمقراطية مع بداية السبعينات... ومن أبرز أقطاب الرواية في تلك الفترة: الطاهر وطار وواسيني الأعرج وعبد الحميد بن هدوقة"⁽²⁾، وإن فترة الستينات التي لم تظهر فيها الرواية راجع إلى الإنتاج الأدبي الذي جاء على حساب التسلسل الزمني، نتاجا متماشيا وكل فترة، وتهيئة من أرضية خصبة للفترة التي تليها، وانعدام الرواية في الستينات نتيجة الأوضاع السائدة آنذاك، لأن المبدع أو الأديب لم يكن مهيا لإنتاج النصوص الروائية في ظل غياب الظروف والمناخ المساعدين في كل النواحي الفكرية والاجتماعية والثقافية... الخ.

¹ - المرجع نفسه، ص 32.

² - مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 32.

كل تلك السنوات كانت البداية الفعلية للأزمة التي ألقت بظلالها على الجزائر وانفجرت في نهاية الثمانينات وبداية التسعينات حيث تأزمت الأوضاع الخاصة بالجزائريين، وانغمست البلاد في أزمة بأتم معنى الكلمة وحرب أهلية، عصفت على الأخضر واليابس، ومن الفئات التي عانت بشكل رهيب من جراء ويلات هذه الأزمة فئة المثقفين، الذين كانوا يشكلون خطرا على السلطات الحاكمة وفي الوقت ذاته خطرا على الجماعات الإرهابية المسلحة.

هذه الأزمة التي نتجت حين "التقى التيار الديني الجذري مع الحركات الاجتماعية التي ولدها تدهور الظروف المعيشية خلال أحداث أكتوبر 1988... مولدا حالة العنف التي ساهمت في تفريخ الإرهاب الذي ضرب بقوة بين صفوف أبناء الفئات الشعبية التي كانت القاعدة الاجتماعية الأساسية لهذه الحركات الاجتماعية الشعبية"⁽¹⁾.

وفي خضم كل "هذا الزخم من التحولات العنيفة والمتسارعة كان المثقف موقف منه، وبأشكال مختلفة وكانت الرواية الفن الضليع باستجلاء المواقف" فالرواية يمكنها... أن تعبر بمرونة أكثر من جميع الفنون الأدبية الأخرى عن شخصية المثقف ومشاكله الأساسية"⁽²⁾، وتعد الرواية الجنس الأدبي الأمثل لحمل المشعل للارتقاء بالمواضيع الإنسانية عاليا، في مختلف القضايا والجوانب عن طريق التصوير الفني وتحقيق غاية الأدب والأديب من ذلك، ولقد أطلقت على أدب هذه الفترة تسميات عديدة "مثل: أدب الأزمة، أدب المحنة، الأدب الاستعجالي"⁽³⁾.

إن التسميات التي أطلقت على النتاج الأدبي في فترة التسعينات متعددة، ومع ذلك فإنها لا تخرج على نطاق واحد، وهو التعبير الفني التصويري الخاص بالرواية على

¹- سعاد حمدون، صورة المثقف في روايات بشير مفتي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د. لبوخ بوجملين، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009/2008، ص 8.

²- المرجع نفسه، ص 8.

³- سعاد حمدون، صورة المثقف في روايات بشير مفتي، ص 9.

الخصوص والأدب عموماً لما حدث من جرائم بشعة وهتك للإنسانية والدوس على كرامة وحق الشعب الذي أنهكته الصراعات والأزمة التي مست البلاد، ولم يتوار الأدب الروائي الجزائري من مسايرة الأحداث والوقوف عندها لأجل تسجيل شهادته.

3- علاقة الرواية بالسياسة:

تثير السياسة كل إنسان انطلاقاً من اهتماماته وانشغالاته اليومية وباعتبارها ظاهرة تمس الواقع وباعتبار الكاتب الروائي فرد من المجتمع فإنه تلقائياً يتأثر وينفعل مع متغيرات السياسة وما تحدثه على الواقع من تغيير، على مستوى مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية على وجه خاص لأي مجتمع أو أمة "وهكذا اكتسبت الرواية بوصفها النوع الأدبي الذي يتمثل فيه النقد الاجتماعي بمعناه الصحيح طابعاً إيجابياً، تعليمياً بل تنبؤياً"⁽¹⁾.

فالعلاقة بين الأدب والسياسة تمتاز بالخصوبة والتعقيد، تحمل طابعاً خاصاً ينطوي تحت مظلة المجتمع، وهي علاقة تسودها الكثير من المواجهة، فالرواية في سعي دائم في تشخيص الواقع وتطغى على هذه العلاقة الميزة الجدلية والتضاد والتأثير المتبادل.

يمارس الأديب من خلال إنتاجه الأدبي السياسة ليحقق حضوره على أرض الواقع من خلال ممارسة مواظنته وبت انشغالاته وآرائه في شتى أشكال التعبير الاجتماعي، كما يرى أحمد محمد عطية أن كتابه "الرواية السياسية"⁽²⁾ يرمي إلى تأكيد الصلة الوثيقة بين الأدب والسياسة، إلى إبراز الأدب كأداة من أدوات التعبير السياسي والاجتماعي، ورفض كل محاولة لعزل الأدب عن السياسة لأن هذا طريق لعزل الأدب عن دوره في إنارة وعي الجماهير بحقيقة أوضاعها السياسية والاجتماعية... وانغلاقه على تجارب شكلية"⁽²⁾.

¹ - أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، مكتبة مدبولي (دراسة نقدية في الرواية العربية السياسية)، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 11.

² - المرجع نفسه، ص 12.

وذلك أن فهم الأدب ودراسته، يكون من خلال ظروف إبداعه، واستحالة دراسة العمل الأدبي، والاستفادة من تجاربه في انعدام ظروف إنتاجه السياسية والاجتماعية والثقافية، لأن الإنتاج الأدبي بصفة عامة والإنتاج الروائي خاصة لا يأتي من العدم، وبهذا أصبحت الرواية تلعب دورا مهما في التغيير الاجتماعي والسياسي، بعد ارتباطها بالسياسة ونقد الواقع الاجتماعي لأن السياسة تعتبر نافذة تغيير ونقطة تحول، وتساهم في فتح الآفاق لتجسيد الآمال على أرض الواقع وممارسة الصراع على السلطة "فالرواية السياسية هي الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكيمي"⁽¹⁾.

وينتهي "طه وادي" من خلال الدراسة التي أجراها على الرواية إلى النتائج التالية:

1- "قضايا السياسة وأزماتها الخطيرة، لا تتحقق - بالضرورة - في أي عمل أدبي إلا من خلال (رؤية واقعية) للحياة والفن"⁽²⁾.

أي أن القضايا السياسية لا تتحقق إلا من خلال الإسقاط الواقعي للحياة والرؤية الواقعية للفن الذي هو الرواية.

2- "الأفكار السياسية يجب أن تشكل (محورا مهما ومثيرا) في إطار بقية القضايا التي تصورها الرواية، حتى لا يبدو وجودها مقحما دون ضرورة فنية"⁽³⁾.

الأفكار التي تحملها الرواية ذات الطابع السياسي يجب أن تكون ذات أهمية، تهدف إلى تحقيق مبتغاها، من خلال نظرة الروائي والابتعاد عن حشو الأفكار دون ضرورة فنية تتطلبها الرواية.

¹ - طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، ط1، 2003، ص 49.

² - المرجع نفسه، ص 61.

³ - المرجع نفسه، ص 61.

3- "ينبغي أن يختار الكاتب (معادلا موضوعيا مقنعا) لأفكاره السياسية والإيديولوجية، وأن تكون هذه الأفكار حية ومبررة في سياق النسق الروائي"⁽¹⁾، ويجب على الكاتب أيضا أن يكون على اتصال بواقعه "لأنه لا يمكن فهم الأدب ودراسته بمعزل عن ظروف إبداعه السياسية والاجتماعية"⁽²⁾.

فعلى الكاتب أن يستدل على أفكاره السياسية بما يقنع من البراهين والحجج من الواقع الاجتماعي والسياسي، مع مراعاة التسلسل المنطقي للنص الروائي وأحداثه .

4- " الشخصيات التي تمارس السياسة في الرواية، يجب أن تكون (مؤهلة) لذلك اجتماعيا وفكريا داخل المبنى الروائي، حتى تصبح قادرة على الإقناع الفني بما تقول وتعمل في إطار أحداث الرواية"⁽³⁾.

ذلك أن الشخصيات السياسية المجسدة داخل النص الروائي، يجب أن تكون مثقفة ذات قدرة على تمثيل الشعب، والإقناع على تشخيص الواقع ومعالجة الأحداث داخل المتن الروائي.

5- "القضية السياسية (المختارة) ينبغي أن تكون من القضايا الجليلة التي تؤرق الوطن وتعذب المواطن"⁽⁴⁾، من خلال ذلك يجب أن تحمل الرواية السياسية قضية تستحق الكفاح السياسي وتجسد برنامج قادرا على إخراج الوطن من ركوده وتحقيق طموح الشعب وإنعاش واقعه في الوقت نفسه.

¹ - المرجع نفسه، ص 62.

² - أحمد محمد عطية، الرواية السياسية (دراسة نقدية في الرواية السياسية العربية)، ص 12.

³ - طه وادي، الرواية السياسية، ص 62.

⁴ - المرجع نفسه، ص 62.

6- "ينبغي على الكاتب أن يدرك الفروق الشاسعة بين وظيفة الدعاية والتحريض عند رجل يمارس العمل السياسي، وبين وظيفة الفن الانسانية والجمالية عند أديب أصيل ملتزم"⁽¹⁾.

فالأديب يمارس السياسة من خلال إبداعه الأدبي الذي يحمل الطابع السياسي كوظيفة نبيلة لإيصال رسالته، انطلاقاً من كونه فرد من المجتمع، ووصوله إلى كونه ممثلاً عن الجبهة الاجتماعية والسياسية، في إطار التزامه بقضية معينة.

7- "على الناقد حين يتصدى لدراسة رواية سياسية، أن يدرك - واعياً - أنه يتعامل مع نص أدبي، له معايير الجمالية الخاصة بغض النظر عن رواية الكاتب السياسية وعقيدته الإيديولوجية لأن من حقه أن يتفق مع الكاتب أو يختلف"⁽²⁾.

لكن هذا الاختلاف قد يتلاشى على أرض الواقع، ذلك أن السياسة قد تلجأ في بعض الأحيان إلى استعمال الحُسن، وبالتالي فإن فضاء السياسة لا يمكنه إدعاء الموضوعية المطلقة.

فغالباً ما تكون الأهداف السياسية أهداف مشتركة تتطوي تحت شعار الجماعة أو التحزب ومنه يمكن التفكير في سياسة الأدب "بوصفه على هذا النحو، وفي سيغة تدخله في تقسيم الأشياء التي تشكل عالماً مشتركاً، والأشخاص الذين يعيشون فيه، والقدرات التي يتمتعون بها، في رؤيته وتسميته والتأثير فيه"⁽³⁾، وذلك بالنظر إلى السياسة على أنها السبيل لتحقيق الأمن والحرية والعدالة والحصول على العيش الكريم.

¹- المرجع نفسه، ص 62.

²- طه وادي، الرواية السياسية، ص 62.

³- جاك راسينبر، سياسة الأدب، تر: سهيل أبو فخر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، د.ط، دمشق، 2011، ص 12.

إن السياسة في واقعنا اليوم تتحكم في كل قضايا المجتمع وتوجهات الأفراد نظرا للاختلاف الإيديولوجي من جماعة إلى أخرى والمعتقدات الدينية والعرقية التي تحكم المجتمعات المعاصرة، وكنتيجة المشاكل السياسية في الجزائر فإن الرواية الجزائرية على اختلاف أصحابها وتوجهاتها، تطرح العديد من القضايا داخل المجتمع، الذي تعرض لكثير من الإجراءات والمعاملات القمعية من طرف الاستعمار الفرنسي، مما جعل الأدباء الجزائريين يهتمون بالقضايا السياسية في ظل التطور الاجتماعي ولا شك في أن الأدب الجيد "هو الذي تذوب فيه الرواية السياسية داخل جزئيات العمل، وتتضافر مع لحمته وسداه، وتصبح جزءا عضويا من نسيجه، وأداة متجانسة من أدواته"⁽¹⁾، وبالتالي صارت السياسة ركنا أساسيا، وأمرأ ملحاً، في كل الإبداعات الروائية الجزائرية، لأن السياسية تسعى لمعالجة مختلف القضايا الاجتماعية والرواية تعمل على إسقاط الواقع وتصوير معالمه وآفاقه.

4-تعريف الرواية السياسية:

نقصد بالرواية السياسية (roman politique) "الرواية السياسية هي التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمي"⁽²⁾، ومن خلال هذا، فهي الرواية التي تركز على مناقشة وطرح انشغالات سياسية، وما تحمله الجماعات المنطوية تحت تيارات فكرية وسياسية، والتي يغلب عليها طابع الجدلية في الصراع، بين السلطة والشعب ورجال المال والأعمال، وكل هذا من خلال النضال السياسي لتحقيق الأهداف والبرامج المسطرة، من طرف الأحزاب والشخصيات السياسية بأدواتها المختلفة.

كما عرفت الرواية السياسية أيضا: "باعتبارها موضوعا فنيا _ في إطار المذهب (الواقعي)، الذي يعكس حركة البشر _ ولاسيما البسطاء والفقراء، باعتبارهم الشرائح

¹ - طه وادي، الرواية السياسية، ص 51.

² - المرجع نفسه، ص 49.

المظلومة في المجتمع، استطاعت الرواية في ظل الواقعية أيضا أن تفتح الواقع اليومي⁽¹⁾، ذلك أن الرواية السياسية تصدر عن أشخاص ذوي مستوى ثقافي يقومون بعكس الواقع اليومي للفئات الشعبية ومختلف الشرائح التي تحمل انشغالات وتطمح إلى تحقيق تطلعات مستقبلية، برؤية وتصورات واقعية وتحقيق العدالة الاجتماعية.

وتعتبر الرواية السياسية نزعة من النزعات الروائية تقوم "على أطروحة الدعوة إلى أفكار سياسية معينة وتنفيذ غيرها مما يفسح المجال أكثر لحوارات تتخذ شكل مجادلات سياسية" على حساب التقليل من أهمية العناصر السردية الأخرى وتنزع هذه الرواية ذات المنحنى السياسي نحو نوع من الواقعية القرارية ولا تتميز عن غيرها من الروايات إلا بتأكيدا على الحدث السياسي⁽²⁾.

كما أن الرواية السياسية هي التي: "يتمكن كاتبها من تقديم رؤية سياسية كقضية من قضايا الواقع السياسي من خلال معالجة فنية جيدة في رواية سياسية"⁽³⁾.

فالرواية السياسية غالبا ما تحمل شعار الدفاع عن قضية معينة، تستند في ذلك إلى الواقع وحيثياته، دون التخلي عن القيمة الفنية والجمالية للرواية، ذلك أن الرواية السياسية في غالب الأحيان تركز على القضايا السياسية المحلية والوطنية والقومية، من أجل معالجتها ضمن اتجاهات ومحاور متعددة وعلى أوجه مختلفة، واستيعاب المراحل الخاصة بالقضية على اختلافها، مع التركيز والوقوف على أحداث معينة لها ما يميزها من الخصوصيات، كما تهدف الرواية السياسية إلى تصوير السلطة والحكم والممارسات الاستبدادية وانتهاك حقوق الإنسان، واعتقال السياسيين والخوف من أفكار المثقفين والزج

¹ - المرجع نفسه، ص 58.

² - سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 60.

³ - زهرة خفيف، الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية غدا يوم جديد أنموذجا لعبد الحميد بن هودقة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009/2008، ص 13. نقلا عن: حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر 1965-1975، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1994، ص 18.

بهم في السجون، وما يقوم به النظام من سياسات قمعية لكم الأفواه، وبذلك يتم التأشير على الخطاب السياسي والعقيدة والإيديولوجية والرؤية السياسية إلى العالم وعلاقة الانسان بالسلطة.

ومن النقاد الذين عرفوا الرواية السياسية نجد "جوزيف بلوتنر" "Blotner" في كتابه "الرواية السياسية" الذي تم نشره عام 1955م، والناقد الأمريكي "ايرفينج هاو" "Irvynj Howe" في كتابه "السياسي والرواية" والذي صدر عام 1957.

ينطلق بلوتنر في تعريفه للرواية السياسية من رؤية للمجتمع الغربي فيقول: "إذا حصرنا الرواية السياسية في نشاط بعض المؤسسات كالكونغرس أو البرلمان، فهذا يعني بأن نراعي بذلك الطابق العلوي للبناء السياسي ونتجاهل الطابق الرئيسي والقاعدة التي تسانده، وهذه القاعدة التي ينبغي أن تخوض الصراع السياسي هي طبقات المجتمع، خاصة الطبقة العاملة التي ينبغي أن تطلع بأدوار سياسية وتتحرك في وسط سياسي"⁽¹⁾.

يذهب بلوتنر إلى أن "هناك أهمية كبيرة لموضوعات بعينها في الرواية السياسية مثل: الحروب _ التي يعتبرها امتداد للسياسة _ والأعمال المحرصة على الفتنة، وسياسات المجالس النيابية، والموضوعات المتعلقة بالانتخابات"⁽²⁾.

يعني ذلك أن الرواية السياسية تتمحور حول موضوع ذا قيمة وأهمية في الحياة الإنسانية وما يخلفه من تأثيرات على حياة الناس، والدور الذي تقوم به السلطة وما يحدده

¹ - زهرة خفيف، الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية غدا يوم جديد أنموذجا لعبد الحميد بن هدوقة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009/2008، ص 14. نقلا عن: حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر 1965-1975، ص 19.

² - زهرة خفيف، الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية غدا يوم جديد أنموذجا لعبد الحميد بن هدوقة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009/2008، ص 14. نقلا عن: حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر 1965-1975، ص 19.

الشعب عن طريق الاقتراع أثناء الاستحقاقات الانتخابية، وإمكانية استغلال السياسة للأغراض التخريبية وزرع الفتن وبناء بعض المجتمعات على حساب تهديم أخرى.

ويقول أيضا: "ولا بد لكاتب الرواية السياسية أن يكون معاشيا للأحداث السياسية، وأن يكون متصلا بالأدوار التي تلعبها الشخصيات، وأن يكون معهم على نفس خطوطهم في الحديث وغايتهم التي يهدفون إليها واستراتيجياتهم التي يستخدموها"⁽¹⁾.

أي أنه يشترط في كاتب الرواية السياسية أن يكون معاشيا للوسط الذي يريد أن يناقش ويحلل قضاياها وذلك بالاطلاع على أرض الواقع على العراقيل والمشاكل ومحاولة إيجاد الحلول أو ما يخفف الضرر، ولمس مجريات الأحداث الحاصلة واقعيًا، وأن يكون ذا نظرة سياسية ثابتة متمرس في الجانب السياسي وله ما يؤهله للخوض في النقاش السياسي، وتوظيف الشخصيات المناسبة مع مراعاة الانسجام وإرساء الأهداف المراد الوصول إليها والثوابت المتبعة في تحقيقها.

أما **ايرفينج هاو** فيعرف الرواية السياسية بأنها: "الرواية التي تلعب فيها الأفكار السياسية الدور الغالب أو التحكمي، بيد أن توضيح كيفية التحكم تبدو ضرورية، لأن كلمة تحكمي تحتاج إلى تحديد، وربما كان من الأفضل القول بأنها الرواية التي نتحدث عنها لنظهر غلبة أفكار سياسية أو وسط سياسي، إنها رواية تظهر هذا الافتراض دون صعوبة أو تحريف"⁽²⁾.

¹ - زهرة خفيف، الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية غدا يوم جديد أنموذجا لعبد الحميد بن هدوقة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009/2008، ص 15. نقلا عن: حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر 1965-1975، ص 23.

² - زهرة خفيف، الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية غدا يوم جديد أنموذجا لعبد الحميد بن هدوقة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009/2008، ص 16. نقلا عن: حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر 1965-1975، ص 29.

ومن خلال ذلك فإن إيرفينج هاويرى أن الرواية السياسية هي التي تغلب عليها الأفكار السياسية وتعكس الوسط السياسي بكل أمانة وصدق.

إذا كانت الرواية بالشكل المعروف مجموعة من التقنيات الفنية والجمالية تعمل على إثراء التعبير الإنساني وعن الأفكار والأحاسيس والتجارب الواقعية والذاتية، فإن مصطلح السياسة تبدو باعتبارها نسقا اجتماعيا عملية معقدة تقوم على تصورات نظرية أكثر شمولاً واتساعاً من الفهم التقليدي لها، كما أنها لم تعد تهتم بقضية بعينها، وإنما اتسع آفاقها ليتناول كمل مكونات النسق السياسي، مثل أسلوب الحكم وطريقة تشكيل الحكومة وصنع القرار السياسي وكيفية تنفيذه، وموقف الهيئة الحاكمة من القوى المعارضة⁽¹⁾، أما من ناحية التجسيد "تبدو السياسة على مستوى الممارسة العلمية أكثر تعقيداً أو شمولاً، لأن حياة الفرد داخل نسق اجتماعي، أصبحت حياة مسيسة على كافة المستويات، بل إن بعض المجتمعات قد تبدو في الظاهر بعيدة عن دائرة البناء السياسي في حقيقة الأمر خاضعة لقرار سياسي، مثل طريقة توزيع الثروة الاقتصادية، ونظام التعليم، وحركة القوى العاملة وقوانين الإسكان"⁽²⁾.

وينتهي طه وادي إلى القول أن "الرواية السياسية تتدخل في كل أمور الحياة المعاصرة... وهكذا تبدو السياسية باعتبارها نسقا اجتماعيا ذات هيمنة شاملة على كل أنساق الحياة المختلفة... ونتيجة لذلك فإن الأدب حين يعكس رؤية تقديمية للواقع فإنه يعد ممارسة سياسية، بمعنى من المعاني، ولا ريب أن الأدب الجيد ملتزم بالضرورة، والالتزام يقوده تبعاً لذلك إلى صف المعارضة"⁽³⁾.

¹ - زهرة خفيف، الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية غدا يوم جديد أنموذجاً لعبد الحميد بن هدوقة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2009/2008، ص 16. نقلاً عن: حمدي حسين، الرؤية السياسية في الرواية الواقعية في مصر 1965-1975، ص 36.

² - طه وادي، الرواية السياسية، ص 36.

³ - المرجع نفسه، ص 37.

لأن السياق السياسي مجموعة من الأدوار السياسية التي يقوم بها الفاعلون في إطار بناء سياسي، يحدد العلاقات بين الحكام والمحكومين فالسياسة تسعى إلى تأمل الأفكار والقيم كالحق والحرية والعدالة، وتثير من حولها تساؤلات تتعلق بشرعيتها وملاءمتها للطبيعة الإنسانية، أما علم السياسة، فسعى إلى تحديد عناصر الحياة السياسية بما فيها أنماط ونظم سلوكية وتحصيل المبادئ العامة للسياسة من خلال دراسة الأفكار السياسية.

5- ملامح التعبير السياسي في الرواية الجزائرية:

تطرح العديد من التساؤلات حول لغة التعبير السياسي في الرواية الجزائرية، والتي تعكس الواقع بكامله وتحاول رصد كل التطلعات الموجودة داخل المجتمع الجزائري، وذلك من خلال التحام المبدع ونصه الروائي مع الرؤية السياسية النقدية والتي بدورها تعكس لغة المثقف الناقد الحر.

بعد استقلال الجزائر أي بعد سنة 1962 "بدا الأدب الجزائري... يسجل ملحمة النصر وقصص الكفاح، وقد تصادف أن تم ذلك النصر على يد طلائع الطبقة الوسطى تلتط الطبقة التي يعزى إليها فضل اكتشاف فن الرواية الحديثة، وتطويره من جذوره الأولى تطويرا يجعله منبت الصلة عن الجذور القديمة له"⁽¹⁾.

أي أن الطبقة الوسطى واكبت في مسيرتها نشأة الرواية في الجزائر، ومن خلال عملية الكشف عن نفسها اكتشفت وجود فن الرواية، وجعلت منها وسيلة للتعبير عن انشغالاتها وهمومها وآمالها وآلامها، وتصوير المشاعر الإنسانية العامة، وهذا ما يوضحه "برنارد شو" حين يرى "أن الفن هو المرأة السحرية، التي تقوم بعكس الأحلام الغير مرئية وتحويلها إلى صور مرئية فأنت تستخدم المرأة لترى وجهك، وتستعمل الأعمال الأدبية

¹- طه وادي، الرواية السياسية، ص 213.

لرؤية روحك، وهذا يعني ان الرواية في الأساس نوع من مرآة الحلم، التي يحاول فيها الروائي أن يعكس نفسه كالجوهرة⁽¹⁾.

كما أن الرواية السياسية الجزائرية قامت برصد العديد من القضايا والظواهر الاجتماعية والسياسية والفترة التي جاءت بعد الاستقلال، والصراع الإيديولوجي وانتشار الفساد والبيروقراطية وتعدت الرؤية السياسية، فالرواية السياسية بالجزائر تناولت بشكل خاص المشاكل الناتجة عن ظلم النظام السياسي والاجتماعي وركزت اهتمامها على القضايا السياسية مثل أساليب الاضطهاد السياسي والعدالة الاجتماعية والظلم المادي والمعنوي ومن خلال ذلك يمكن حصر الرؤية السياسية في ثلاث:

– الرؤية السياسية المحلية.

– الرؤية السياسية الوطنية.

– الرؤية السياسية القومية.

كما أن الرواية الجزائرية سلكت مسارا وطنيا والذي يقوم بدوره في مواجهة الاستعمار الذي أراد عزل وتغريب المجتمع الجزائري واستبداده واستغلاله بشتى الطرق ومحاولة إغراقه في عوالم الجهل وطمس هويته، إلى جانب الكفاح القومي، كمساندة القضية الفلسطينية والدعوة إلى الوحدة العربية والعمل على تقوية الروابط الإسلامية.

وبالتالي أخذ البعد القومي أهمية كبيرة في التجارب الروائية برمتها للكثير من الروائيين الجزائريين أبرزهم: الطاهر وطار، واسيني الأعرج، رشيد بوجدره.. الخ.

ولعل أهم موضوع ركزت عليه الرواية الجزائرية معالجة وتحليلا هو موضوع الاستبداد والسلطة والتعدي على حقوق الإنسان، ونذكر على سبيل المثال الطاهر وطار في روايته "الوالي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي" وهي الرواية التي تعتبر من أهم

¹ - طه وادي، الرواية السياسية، ص 213.

الروايات التي عالجت هذا الجانب، بالإضافة إلى عبد الحميد بن هدوقة في رواية "غدا يوم جديد" ومرزاق بقطاش في روايته "طيور في الظهيرة".

وأبدع الروائيين الجزائريين في إسقاط وتشخيص الواقع بصفة عامة والواقع السياسي بصفة خاصة والعمل على تصوير فساد الحكم والسلطة، وانتهاك حقوق الإنسان، وإغلاق الأفواه الناطقة بالحق والمعارضة للحكم الانتهازي، والزج بالمتقنين داخل المعتقلات والسجون السياسية لقتل روح النضال وطموح النهوض بالبلاد في شتى المجالات، وذلك بفرض الحكم القائم على الظلم والتسلط والقمع في ظل السيادة الفردية.

كما سخر الأدباء من نظام الحكم المتسلط والمستبد وجابهوا الواقع السياسي الجزائري بكل سخط وقساوة بدون خوف من رقابة السلطة والنظام الحاكم، وغدت الرواية السياسية الجزائرية في الجزائر تقتحم الطابوهات الحساسة في المجتمع الجزائري، والتي كسرت حاجز الخوف والتردد، مثل ما كان في الروايات الآتية: "ريح الجنوب" "غدا يوم جديد" "ونهاية الأمل" لعبد الحميد بن هدوقة، "معركة الزقاق" لرشيد بوجدره "ورواية المؤامرة" لمحمد مصايف، "دماء ودموع" لعبد المالك مرتاض، "طيور في الظهيرة" وعزوز الكابران "لمرزاق بقطاش، "واللاز" "العشق والموت في الزمن الحراشي" "الزلال" للطاهر وطار... الخ.

كما لا نزال نؤكد أن الرواية السياسية، هي الرواية التي تتوفر فيها كل جماليات الرواية وذلك من حيث كونها نوعا أدبيا مميزا، وتحمل رؤيا سياسية تعمل على نشر العدل وإظهار الحق وإسقاط الظلم والفساد والاضطهاد، "وهنا تصبح الرواية شاهدا على العصر ومعبرة عن رأي كاتبها المقدم إزاء ما يحدث في واقعه من مساوئ أو مظالم"⁽¹⁾.

لعل أهم القضايا التي تشغل الرأي العام والمتقنين هي الديمقراطية "هي قضية اليوم والغد، ما في ذلك شك، وهي في أساسها طموح إنساني، ومطلب شعبي، وقد أصبحت

¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 60-61.

بالإضافة إلى ذلك في توجهها عالميا... وإذا كنا نتحدث اليوم عن نمط سائد نسميه الديمقراطية العربية فعلى أن نتذكر أنها ديمقراطيات كثيرة، وليست ديمقراطية واحدة، فشتان بين الديمقراطية الرئاسية ذات الحزبين الكبيرين في الولايات المتحدة الأمريكية، والديمقراطية البرلمانية ذات الأحزاب الكثيرة في بلد مثل إيطاليا فالديمقراطية نظام سياسي مرتبط بتركيبة اقتصادية اجتماعية ثقافية ذات جذور تاريخية⁽¹⁾.

الديمقراطيات الغربية تلتقي على نقطة الصراع، الذي يعني في المجال الاقتصادي المنافسة، والصراع الطبقي في المجال الاجتماعي، وحق الاختلاف في المجال الثقافي أي تعدد الثقافات، والتعددية الحزبية في المجال السياسي، وكل هذه الأمور نتعلمها من الغرب لأن الصراع هو أساس استمرارية واستقامة الحياة الإنسانية، وما يوفره مناخ الصراع الذي يسهم في فسح المجال أمام كثرة الاختراع وظهور ما هو جديد والتخلي عن القديم والسعي إلى التطوير.

أما الصراع الذي نريده أن يتحقق على أرض بلادنا، لتحقيق الديمقراطية هو صراع فكري سلمي، يقوم على أساس الحوار والمجادلة والوعظ والإرشاد من أجل تحقيق الرقي والتقدم والعدل والحفاظ على الثوابت الوطنية والالتقاء حول كلمة واحدة لتوحيد الصفوف ونشر الأمن وتحقيق العدل الاجتماعي وانتشار الحرية دون قيود أو شروط.

وفي ظل الأحداث السياسية المحلية والقومية والعالمية، وفشل تحقيق الوحدة العربية والقومية، وانتشار الظلم والقمع والفساد بشكل اعتيادي، مما جعل الرواية السياسية في الجزائر تعكس الواقع بشتى الأساليب، وتقوم في كثير من الأحيان على السخرية واللغة التهكمية والنقد والهجاء ومحاولة طرح مواضيع حساسة قصد المعالجة وكسر حاجز الصمت.

¹ - طه الوادي، الرواية السياسية، ص 12.

يستحيل تحقيق التقدم والرفق، في ظل القمع وانتهاك حقوق الإنسان ولذلك فالسياسة لم تعد حكراً على رجال السياسة بقدر ما أصبحت واقع يلمسه كل فرد داخل المجتمع الذي يعيش فيه بشكل خاص وما يتأثر به مما يحدث في العالم بصفة عامة.

الفصل الثاني

مضامين الخطاب السياسي

في رواية "المراسيم والجناز" لبشير مفتي

1- البعد السياسي.

2- البعد الاجتماعي.

3- البعد الإيديولوجي.

4- البعد التاريخي.

مما لا شك فيه أن الخطاب الروائي الجزائري قد عرف تحولات كثيرة، وقد حاول هذا الخطاب في نهاية الثمانينات الخروج من سياسة النظرة الأحادية والقوالب الإيديولوجية، بحيث كانت أعمال الروائيين تعبيراً عن واقع وأزمة البلاد والشعب، وتحولت الثنائية من أزمة الأدب إلى أدب الأزمة، ففي مطلع التسعينات عالج أزمة البلاد، وتحول جل اهتمام الروائيين الجزائريين إلى التعبير عن الأوضاع الراهنة في رواياتهم.

لقد ظهرت ملامح جديدة لجيل جديد مختلف اختلافاً واضحاً عن الجيل الذي سبقه، وذلك في مجال الكتابة في حد ذاتها، وذلك من خلال: "تعاملها مع الأزمة التي انفجرت في الجزائر إلى أكثر من صعيد، وهذا منذ أكثر من عشرة سنوات، إن أدب الأزمة دونما شك سيكون بمثابة المنعرج الكبير للكتابة الأدبية في الجزائر خلال السنوات القادمة"⁽¹⁾.

إن الرواية الجزائرية التي ولدت أثناء الأزمة الوطنية، كان أصحابها شباباً عبروا عن جراحات ذواتهم في واقع لم يفصل الرصاص ليله عن نهاره، غير أن البعض نظروا إلى هذا الخطاب على أنه استعجالي، يشبه إلى حد بعيد "الربورتاج الصحفي وبذلك ضربوا بمواهب الجيل الجديد عرض الحائط ونفوا عليهم أن تكون رواياتهم قد واكبت الأزمة بحق، لأن الاعتراف بذلك قد يفقدهم سلطتهم في المحافظة على الرواية وخلق أوراق تاريخهم"⁽²⁾.

وفي هذا المناخ العام الذي سادته العنف، كان من اللزوم أن يتشكل وعي جديد رغم كل الانتقادات، والذي تجسد أغلبه في الكتابة الروائية، التي اختلف مؤلفوها وتتنوع عناوينها إلا أن الهدف واحد هو إسقاط الواقع ومتغيراته من خلال الرواية النابعة عن الذات المبدعة، والتي عايشته هذا الواقع المرير فبشير مفتي يرى أن كل كاتب فسر الأزمة حسب أيديولوجيته، ذلك أن "ما عاشه المثقف الجزائري خلال السنوات الأخيرة

¹ - حفناوي بعلي، جامعة عنابة، هاجس الحداثة وإشكالية العنف في رواية جيل الأزمة، أعمال الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعرييج، 2004، ص 123.

² - المرجع نفسه، ص 123.

عبر عن هزيمة شاملة للأحداث، فأنا شخصيا كنت بالاقتراب من لحظة السقوط أكثر من شيء آخر، فعبرت من خلال رواية "المراسيم والجنائز" عن الأحلام المنكسرة، والجيل الذي ضحى تقريبا من أجل لا شيء⁽¹⁾.

كما يجب التأكيد أن أدب هذه الفترة أي الكتابة الإبداعية لما حدث في الجزائر من صراع سياسي وجشع سلطوي، أدى إلى الأزمة التي أرقت الشعب وكان يفتقر إلى أدوات النشر ومؤسسات الطباعة، مما جعل أكثر من 70 بالمائة من هذا الأدب لا يرى النور.

لعل أبرز روايات مفتي بشير المشخصة للواقع التسعيني وقساوة الأزمة الوطنية، رواية المراسيم والجنائز، "التي تلفت انتباه القارئ بعنوانها والنقاء الكلمتين مجموعتين ومعرفتين يشكل خطوة أولى نحو الدخول في مأساة الحضور في جزائر التسعينات واقعا وثقافيا"⁽²⁾، فالكاتب من خلال هذه الرواية يقدم لنا مختلف صور العنف التسعيني، تجتمع كلها وتشكل لوحة مأساوية لوطن غاص في أحزان وآلام لا حد لها، فتعددت القصص في الرواية والتي عكست محنة الوطن بصور مختلفة "كقصة "وردة القاسي" التي لا تقوى على فعل شيء أمام عنف المال وتكون نهايتها الانتحار، وقصة الشاعرة "رحمة" التي قتلت نتيجة انفجار قنبلة وقد عانت كثيرا من التهميش مما اضطرها للعزلة، وقصة "بوعنترة الأب" الذي كان متأملا من ابنته أن تصبح طبيبة ولكن خانتها الأيام بأن التحقت ابنته بصفوف الظالمين فتموت هناك"⁽³⁾، وهذه القصص لخصت معاناة فئات الشعب الجزائري.

¹ - حفناوي بعلي، هاجس الحداثة وإشكالية العنف في رواية جيل الأزمة، الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، ص 124.

² - عامر مخلوف، الرواية والتحويلات في الجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 86.

³ - المرجع نفسه، ص 87.

لم تكن تسمع في تلك الأيام إلا كلمات القتل، الذبح، الانفجار، "فأينما وليت وجهك فثم العنف ومن لم يمت بالعنف مات بغيره"⁽¹⁾، وقد جسدت رواية المراسم والجنازات كل مظاهر العنف السياسي والإرهابي والاجتماعي وهذا ما ذهب إليه مخلوف عامر بقوله: "لقد وجدت في المراسم والجنازات بلغتها الجميلة شهادة على واقع وشهادة حضور على ذات معذبة ومتميزة في رؤيتها وعذابها وفي تعاملها مع الشخصيات التي تتحرك على الرقعة الروائية"⁽²⁾، فقد عبرت رواية المراسم والجنازات عن الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي في غضون العشرية السوداء في التسعينات.

1- البعد السياسي:

أراد الكاتب مفتي بشير من خلال روايته "المراسيم والجنازات" أن يجسد الصراع المتأجج في لحظة ما من ذاكرته، وإسقاط الواقع الجزائري خلال التسعينات من القرن الماضي، من خلال إشارته إلى الأوقات الصعبة والحرارة التي عصفت بالجزائر، وكشاهد من الشواهد على المرحلة، وفي خضم هذا المناخ الذي ساد العنف وسفك الدماء، كان لا بد أن يتشكل وعي أدبي جديد والذي تجسد أغلبه في الكتابة الروائية، والتي كانت وسيلة للكاتب في نبوغه لتصوير الواقع وانعكاساته.

إن الرواية في مجملها تكتب لعدة أسباب، ولعل أهم هذه الأسباب تصوير الواقع وإسقاطه داخل المتن الروائي، من خلال توثيق مرحلة زمنية معينة بمختلف تفاصيلها، ومن أهم تلك التفاصيل التي تعرضت لها الرواية هي اصطدام المثقف بالسلطة، وذلك لأسباب سياسية بالدرجة الأولى.

حيث يبدأ الكاتب روايته بوصف الأجواء العامة في المدينة التي غلبت عليها الفوضى والتعتيم، والخوف والقلق من خلال تلك المشاهد التي سيطر عليها الحزن

¹ - عامر مخلوف، الرواية والتحويلات في الجزائر، ص 87.

² - المرجع نفسه، ص 90.

"ما زالت حركة الإضراب متواصلة، ورجال المعارضة من أتباع سعيد الهاشمي يحتلون الساحات الكبرى للمدينة، ما يزال الجو على نفس الحال منذ شهرين تقريبا، والحكومة غير قادرة على فعل شيء، ما تزال متخبطة في قرار يحسم ذلك.. يغمرني إحساس مذهل بأن الأمور تسير إلى حرب أو نهاية ما، وكنت أقول لكل من ألقاه مذعورا طبعاً بأن ما يحدث في هذه الأرض لن يحدث في مكان آخر"⁽¹⁾، فتلك الإضرابات والاحتجاجات من طرف المعارضة كانت تنذر بوقوع كارثة من الحجم الثقيل، في ظل صمت وعدم تحرك السلطات لإيجاد الحلول، وعجز الحكومة عن إقناع المتظاهرين بالعدول عن تلك الاحتجاجات والوصول إلى حلول توافقية بسبب الركود السياسي الذي تتخبط فيه البلاد، وتساعد التهديدات اللفظية العنيفة بين قوات الأمن وحشود المعارضة.

يشير الكاتب إلى تغييب الدور الحقيقي للديمقراطية وسلبها من الشعب، لأن الديمقراطية الحقّة، هي الديمقراطية الشعبية وليست تلك التي يعلنها جنرال "لقد أعطى الجنرال صرخة الديمقراطية للشعب... الديمقراطية في هذا البلد المغضوب عليه المسكون بجراحات الماضي وقهر السنين وعنف التاريخ وتراجيديا الحاضر وقمع السلطة وتدجين الأفواه وتكليل الأمجاد بالمراسيم والجنائز"⁽²⁾، فالشعب الجزائري لم يشفى من الماضي الاستعماري القريب، حتى تفتحت جراحه إثر مآسي العشرية السوداء، فالديمقراطية تتحقق من خلال أساليب سلمية، وذلك أنها "صراع سلمي فكري، يقوم على الجدل والحوار بالحكمة والموعظة الحسنة، إنه صراع من أجل التقدم والعدل والبناء والاتفاق على كلمة سواء، توحد صفوف الأمة وتنتشر الأمن والأمان بين كافة أبنائها، إنه صراع يقوم على دفع الناس بعضهم البعض، ويعم العدل وتنتشر الحرية"⁽³⁾، وهو ما يوضح فشل مسار

1- بشير مفتي، المراسيم والجنائز، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1998، ص 9.

2- بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 12.

3- طه وادي، الرواية السياسية، ص 13.

الديمقراطية في جزائر التسعينات التي كانت لا تزال في مرحلة التكوين والبناء بعد الاستقلال وفك أغلال الاستعمار الغاشم، لتسقط في أكبر محنة بعد الاستقلال.

لقد شهدت الجزائر أحداثاً دامية ومجازر رهيبة، جراء السياسات الفردية والقرارات الارتجالية، وغياب الحلول التوافقية التي تحقق الغاية المشتركة، وعدم القدرة على تسطير برامج سياسية ناجحة، بالإضافة إلى التناقض داخل الحزب الواحد "لا أحب النضال الطليعي... الخطب والشعارات والبيانات، لقد عرضت على القيادة برنامج تحركاتي فرفضوه قالوا أن هذا ضد المادة (...) وخارج قوانين الحزب، كل هذا ضايقني جداً... قل لهم بأنني لا أحب أن أكون مجرد ماشية في القطيع"⁽¹⁾، تلك السياسات القمعية التي تهدف إلى خدمة المصالح الشخصية، على حساب مصالح الحزب والشعب، وجعل مصالح العباد فوق مصالح البلاد، هي التي جعلت من الكاتب على لسان "حميدي ناصر" ييأس ويمتنع عن ممارسة هذه اللعبة القذرة.

في ظل تلك الأوضاع السوداء والعنف الإرهابي والتعنت السلطوي، راح الكاتب يتساءل عن مصير المثقف "هل كانوا سيقدروني حقاً أم كانوا سيفعلون بي المنكرات... مثلما فعلوا بـ: "عمر حزون" الذي وجدت رأسه مقطوعة ومرمية في سلة المهملات وكلاب الليل تتناهش البقية المتبقية منها"⁽²⁾، صارخا الكاتب في صمت جراء تضيق الخناق المفروض على النخبة المثقفة، التي تمثل طليعة الشعب الجزائري، في تلك الأجواء المليئة بالفوضى والتمرد، في وقت كان فيه انصار المعارضة متعطشين لبلوغ مطمح الديمقراطية وحرية التعبير، وهي مطالب تبقى هاجس يؤرق معظم دول العالم الثالث بصفة عامة، ودول العالم العربي بصفة خاصة.

¹ - بشير مفتي، المراسيم والجنازات، ص 34.

² - المصدر نفسه، ص 10.

كما ساهم الفساد الأخلاقي وانهلال القيم في تعميق الجراح، وتآزم الأوضاع الإنسانية وانعدام النزاهة والأمانة، وهضم الحقوق عن طريق استغلال المؤسسات الفاعلة ذات التأثير على الرأي العام، ذلك أن "رئيس تحرير من الرعيل الأول الذي لا تعني له الصحافة إلا مسكناً إضافياً يبيعه لمعارفه وعلاقات مع كبار المسؤولين ورجال الدولة أما فريق العمل فهم شبان تخرجوا من الجامعة، وبحثاً عن العمل في زمن البطالة يُستغلون بأبشع الأشكال وأجرهم زهيد"⁽¹⁾، مما يؤكد عدم استقلالية الوسائل الإعلامية، ووحدة الخطاب رغم تعدد المسميات والعناوين.

تعدد الدوافع التي أدت إلى حدوث المحنة الوطنية، في ظل الصراع بين السلطة والجماعات المتطرفة، وتفاقم ظاهرة العنف وانعكاساته على الفرد الجزائري الذي راح ضحية نتيجة صراع سياسي، والمرجعيات التاريخية الفاسدة "أحاول البحث عن جذور الأزمة.. إلى أين تعود.. محاولات في قراءة الماضي البعيد جداً اكتشاف مذهب.. العنف.. العنف.. لكن ما ذنبنا نحن، أبناء الاستقلال لنعيش نفس الوضعية القديمة المتجددة، نحن درسنا في الجامعات لكي نتقذ البلاد.. لا لندمرها.. أطفال مشاغبون طردوا من المدرسة.. هم الذين صنعوا أكتوبر.. اليوم تجار الدم.. يصنعون ماذا؟ خراب الأرض. موت الإنسان. ضياع القيمة"⁽²⁾، تبقى خلفيات العشرية الدموية، وذلك الخراب الذي حل بالبلاد، متعددة والهدف واحد هو بلوغ السلطة والإمساك بزمام الأمور، على حساب الشعب الجزائري، الذي فقد قيمته الإنسانية في أوج التطرف الإجرامي والجشع السلطوي والمتاجرة بأرواح الأبرياء.

يقول محمد عابد الجابري: "حصرنا التطرف في الأفراد والجماعات التي تمارسه خارج السلطة السياسية أو ضداً عليها، ذلك أن التطرف، كما قلنا وكررنا القول، هو في الأغلب الأعم رد فعل، وكثيراً ما يكون المبتدئ بالتطرف هو الدولة، فهي المؤهلة بسهولة

¹ - المصدر نفسه، ص 45.

² - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 49.

الانزلاق إليه، وذلك إما بنوع ممارسة الحاكمين للسلطة من أجل الحفاظ على الحكم، وإما باستغلالهم الحكم لفائدتهم الخاصة ولصالح ذويهم وأقاربهم وأنصارهم ومتملقهم⁽¹⁾، فالتطرف يحدث نتيجة السياسات المعتمدة من طرف الدولة، وذلك راجع لعدم إعطاء الأولوية للمصلحة العامة، وغياب سياسة الحوار، التي من شأنها إرساء السلم والسلام، وإرضاء جميع الأطراف فالإشراك في الحوار يساهم في تقليص الهوة بين السلطة والمعارضة.

- "لو تحاوروا قليلاً.. لو تنازلوا قليلاً.. لو تفاهموا قليلاً.. لما حدث كل هذا الشيء.."

- المصالح كبيرة.. ولا أحد يحب التفريط في شيء..

- ما ذنبنا نحن.. حتى نرث هذه الصراعات القديمة، الجديدة..⁽²⁾.

تضارب المصالح الشخصية والتشبث بالقرارات الفردية، التي تولد الصراعات الحادة، وقمع الحريات، كلها أسباب تشير إلى العقم السياسي وانعدام الديمقراطية في أوج الأزمة الوطنية، كانت تمارس مختلف أنواع الاستبداد والاضطهاد على الشخصيات الوطنية النزيهة، وهو حال "صالح بوعنترة" الشخصية السياسية المهمة في البلد، والمناضل الذي لم يدخر جهداً في الدفاع عن الوطن أثناء الثورة، ليتعرض للاضطهاد من طرف أبناء وطنه في زمن الاستقلال، ومحاولة استغلاله من طرف جهات سياسية معينة، وهي نفس المساومات التي تعرض لها منذ السنوات الأولى للاستقلال، وكأن التاريخ يعيد نفسه، ليشهد نفس المعاملة في فترة التسعينات حيث يبوح لفيروس عما يختلج في صدره: "ما بقي من العمر حتى أخاف أو أبيع نزاھتي، لقد ضاع شبابي في المقاومة.. بعد الاستقلال كنا نظن أن الأمور ستتحسن أنا لست من انصار الرئيس الأول.. لكنني رفضت

¹ - محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999، ص 147.

² - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 83.

فكرة التغيير بالقوة.. ثم تعاطفت مع مشاريع الرئيس الثاني، كنت أرى فيها شيئاً من الثقة والإخلاص لكن ليس إلى الحد الذي يدفعني إلى أن أكون صوتاً له.. ثم جاء الرئيس الثالث وكان عليّ معارضته من الألف إلى الياء..⁽¹⁾، فحين نجد من كانوا في زمن الحزب الواحد، في عز الأزمة يتحدثون عن الديمقراطية والحرية، "هل تعرف بأنه في زمن الحزب الواحد كان لصا.. وجاسوسا وكاتب تقارير.. ثم الآن يتحدث عن الديمقراطية والحرية.. لقد عشت معهم في هذا البلد وأكلنا من نفس القصعة"⁽²⁾.

نجد ذلك التناقض النضالي الذي يوحى بالفوضى والتعفن السياسي، في حين يُفرض الصمت على من صنعوا الاستقلال وصانوا ذمهم، وحاولوا المشاركة في تصحيح المسار الوطني، في وقت التمزق العنيف داخل الشعب الجزائري، ظهر جنون التسلط المادي، التي استمال أصحاب النفوس الضعيفة والخواوية من الحس الوطني حيث أصبحت، "الناس اليوم لا تفهم شيئاً آخر إلا لغة المال... المال يوحد كل العالم.. ليست الوطنيات والقوميات والأفكار إلا خرافات لم يعد أحد يثق بها.. أعطي أي أحد المال وسيبيع وطنه.. قومه.. نفسه.."⁽³⁾، هذا ما جاء على لسان "صالح سعدون" الذي كان يتمتع بالنفوذ المادية، ويملك نسيج من العلاقات خارج البلاد، تستخدم في المتاجرة بالوطنية، وجعلها سلعة تباع وتشترى، من أجل تحطيم الحالمين بتجسيد العمل والحرية على أرض الواقع، والدوس على كرامة الوطن والمواطن.

يرصد الكاتب الواقع التسعيني بكل أبعاده، انطلاقاً من منظوره السياسي "فكل كاتب كيفما كان نوعه، أو جنس الخطاب الذي يكتب فيه، له تصور معين عن الواقع والأشياء والموضوعات التي تحيط به، كما أن لكل مبدع رؤية محددة (بغض النظر في أي حكم أو

¹ - المصدر نفسه، ص 57.

² - المصدر نفسه، ص 46.

³ - بشير مفتي، المراسيم والجنازات، ص 101.

نعت) للعالم انطلاقاً منها يمارس عمله ووظيفته الكتابية أو الإبداعية⁽¹⁾، فبشير مفتي حاول تفسير ما حدث في الجزائر خلال الانحراف السياسي الذي تولد عنه العنف، من طرف الجماعات المتطرفة التي كانت تحمل شعار الحرية والانقاذ، والتي عاثت في الأرض فساداً وانقلابت على الشعب، الذي عاش الفوضى العارمة بكل صفات الهمجية، وانحصار الفئة المثقفة بين قبضة السلطة ونيران المتطرفين حيث يرى الكاتب أنه "لو لم يفعلوا ذلك لاهتزت البلاد بأكملها.. نعم أنا ضد الديكتاتورية والحكم بالقوة.. لكن لست أيضاً مع الوصول إلى الحكم بالقوة والتهديدات اللفظية.. إن الوضع يذكرني بمقولة لأحد كتاب أمريكا اللاتينية عندما راح يصف وضعية المثقف في هذه البلدان، إنه دائماً بين نارين نار السلطة ونار التغيير الفوضوي، بينما لا مكان للتنفس والحياة"⁽²⁾، وذلك في إشارة إلى الضغوطات المفروضة على الفرد المثقف في المجتمعات التي تعدمها السياسات القمعية، والتي تعاني من غياب الوعي ونقص حرية التعبير، مما يشجع على انتشار الأساليب الهدامة واقصاء ذوي الأفكار الخلاقة الذين من شأنهم خدمة وتحسين صورة البلاد ويتجلى ذلك التقييد للحريات الفردية في ما جاء على لسان صالح بوعنتر:

"- لقد زاروني البارحة وطلبوا مني أن لا أنشر أي مقال..

- من هم الذين زاروك؟..

- لقد هددوني بالموت.. وقالوا أنني لو تماديت في سلوكي التمردى هذا.. ولم أستمع للأوامر، فإنهم سيغلقون حتى الجريدة..

- الآن فهمت اللعنة عليهم.. إنهم لا يحبون سماع صوت الآخر.

¹ - مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 60

² - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 76.

- لقد قررت الصمت.. تصوري صالح بو عنتر يصمت..⁽¹⁾.

فالنظام حاول إرغام المثقف على الصمت ومصادرة حرية التعبير، وممارسة الاضطهاد والاستبداد الذي مس حتى المخلصين للوطن والنزهاء.

يرمي الكاتب من خلال روايته إلى نقل الواقع، وربط الماضي بالحاضر، وتفسير أسباب منع انتشار الحقيقة، حفاظاً على مصالح النظام "لقد اغلقوا خمس صحف مستقلة دفعة واحدة.. إنني خائف على مصير الديمقراطية وحرية التعبير في هذا البلد، ضننا أن أكتوبر سيحررنا من سنوات الحزب الواحد.. فإذا بجوان يعيدنا إلى نفس الأزمة.. نفس المسار.. سألته أنا إن كانت صحيفة الحرية معنية بهذا الغلق فنفى وقال بأنها محسوبة على أحزاب معينة"⁽²⁾، فبعد التخلص من عهد الحزب الواحد، وظهور التعددية الحزبية في ظل صعوبة المرحلة الانتقالية، عرف المجتمع الجزائري على مر الأزمنة عنف متعدد الجوانب، أشاع الظلم والمفاسد، فالرؤيا الروائية "تشتمل على رؤيا سياسية واعية، تفتح البصر والبصيرة من أجل نفي الظلم والقهر والفساد والاستبداد، وهنا نضج الرواية شاهد على العصر"⁽³⁾، كل تلك المظاهر السلبية وذلك الانحطاط السياسي، أدى إلى سقوط الجزائر في فخ الثورة الداخلية (الحرب الأهلية)، مما خلف خسائر مادية وبشرية بليغة، بالإضافة إلى انهيار صورة البلاد التي افتكت استقلالها بدماء الشهداء، لتعود وتغرق في دماء أبنائها من جديد الذين "كان عالمهم ينهار أمامي... مثلما انهارت صورة البلد بأكمله.. وسقطت في مصيدة الفقران... كان عالم المثل ينهار هو الآخر بداخلي.. من السيد إلى العبد من المتعلم إلى الجاهل من اليساري إلى اليميني.. الجميع لم يعد يؤمن بذلك.. ولا أحد..⁽⁴⁾"، فشل كل الأطراف السياسية الحاملة لشعار الحرية والديمقراطية، وفي المقابل

¹ - المصدر نفسه، ص 80.

² - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 56.

³ - طه وادي، الرواية السياسية، ص 60.

⁴ - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 101.

خيبة الأمل وبشاعة الأعمال التخريبية المنتهجة من طرف الجماعات التطرفية، وتجرع الشعب الجزائري لمرارة الواقع الأليم، وتلك المشاهد المأساوية، من سيارات مفخخة ورؤوس مقطوعة، وجثث مشوهة، وصراخ اليتامى، كل تلك المشاهد توحى بعمق المأساة الوطنية خلال العشرية السوداء.

حاول الكاتب رصد تلك الأوضاع التي كان يتخبط فيها المثقف جراء العنف السياسي، والقمع الممارس من طرف السلطة الحاكمة، مما دفع بالكثير من النخبة المثقفة إلى الفرار خارج أرض الوطن، والذين بدورهم لم يقدموا شيئا لإخماد نار الفتنة، وبعث الأمن في البلاد، ذلك أن "النضال الثوري ليس بالضرورة الانضمام إلى حزب يساري يعيش في حجر ولا يفعل غير اصدار البيانات... ثم أن الحل ليس الهرب أيضا.. لقد هرب الكثيرون. ماذا فعلوا للقضية... لا شيء بل بالعكس لقد تورطوا جميعا مع جهات أجنبية.. وأحرقوا أوراقهم النظيفة التي كان يمكنهم الافتخار بها أمام المعارضة والسلطة على السواء"⁽¹⁾، فالروائي بشير مفتي يدين على لسان شخصية حميدي ناصر تلك النخبة التي فرت خارج التراب الوطني، وتورطت مع أطراف أجنبية، لكن سرعان ما يغرق الكاتب في انهزاميته حيال ذلك الواقع المشحون بالجراح وهول الموت، التي أصبحت حلم يطارد السارد (ب)، "فعندما يبيع الجميع ذممهم.. سأبيع أنا أيضا.. سأهاجر. ما جدوى الموت الآن ما جدوى الفناء الآن.. لن يكون هذا قدرتي.. الهرب.. الهرب.. الفرار.. الفرار"⁽²⁾ لأن استمرار المشاهد الدموية والعنف بكل أشكاله، جحيما في بلد لم يعد يعرف ليله من نهاره، في ظل سيطرت المافيا، وهو ما جاء على لسان جعفر المنسي:

"- عرفت أن أسماء ناموضوعة في قائمة المغضوب عليهم..

- كيف ذلك؟

¹ - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 84.

² - المصدر نفسه، ص 106.

- هناك من عرضت عليهم أموال للاستقالة... وهناك من زج بهم في السجن إثر عمليات مدبرة..

- وأنت؟

- كما تعرفني.. لا أريد التنازل.. وإن أردت المافيا قتلي.. فلن أبالي..⁽¹⁾.

فالكاتب أراد من خلال روايته المراسيم والجنائز أن يؤرخ لمرحلة الانفلات السياسي، التي شهدتها الجزائر في إطار الصراع حول الديمقراطية، والعنف الممارس للوصول إلى الحكم والجشع السلطوي، في غياب الحلول السلمية واللجوء إلى استخدام القوة العسكرية، مما خلف عنفا شديدا، راح ضحيته آلاف الجزائريين، حيث أن الأطراف المتصارعة في الرواية تشكل رؤية الكاتب السياسية والإيديولوجية، لذلك الصراع المركزي داخل الرواية بين المعارضة والسلطة بصفة عامة وبين المثقف والسلطة بصفة خاصة فالرواية إن "بقيت في معظم أجزائها أكثر ارتباطا بواقعية بسيطة، وطرح ما طبقي ساذج ثانوي جدا تبارك سياسة النظام فإنها حاولت أيضا أن تعانق بشكل ما ولو جزئي في بعض الفقرات تلك الواقعية المحتدمة التي تسعى للقبض على الحياة بأكملها بمجموعة ساخنة وتعكسها في مرآتها بأمانة وصدق"⁽²⁾.

وهكذا فالكاتب أراد أن يعكس مأساة الحضور في جزائر التسعينات، التي مزقتها العنف بأبشع الأساليب، والتأسي على الشعب الذي ما كاد ينسى عنف الاستعمار حتى استيقظ على عنف داخلي، لا تقل جرائمه على جرائم الاستعمار، فالكاتب لم يجد ملجأ ولا سلاحا لمقاومة العنف بكل أشكاله، فهو عنيف حتى مع نفسه، إلا الكتابة التي جعل منها وسيلة لتعرية الواقع كما جاء على لسان "حميدي ناصر" ذلك الكاتب بدون كتاب داخل المتن الروائي "تستطيع أن تقول عني بأنني كاتب من دون كتاب في السوق، لقد ضايقني

¹ - المصدر نفسه، ص 105.

² - بن قينة عمر، في الأدب الجزائري الحديث تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ص 219.

الأمر في البداية... ثم أنا ذا أعود إليها.. أكتشف أن الكتابة هي السلاح الوحيد في هذه المعركة لتعرية الواجهة. نزع الأقنعة. فضح المسكوت عنه.. لهذا بدأت أكتب روايتي الثانية.. إنها تصف كل ما رأيت وما شاهدت.. كل ما عانيت.. كل ما أقسمت بأن لا أقوله..⁽¹⁾، فالروائي بشير مفتي تطرق من خلال روايته "المراسيم والجنائز" إلى التحولات الاجتماعية والسياسية وانعكاساتها على الشعب الجزائري والنخبة المثقفة، في زمن الهمجية بقطيبيها، فهو يدين السلطة لانتهاكاتها باسم الحرية والديمقراطية، والجماعات التطرفية التي نكلت بالشعب الجزائري بطرق شيطانية تحت شعار الإنقاذ، والقهر السياسي الذي خلف ذاكرة سوداوية، كانت عبارة عن شهادة كتبت تحت ضغط الأحداث، تنديدا بالمسكوت عنه، من تقتيل وتحقير لذات الإنسان الجزائري وخاصة المثقف الذي عاش هذه الفترة التسعينية بين سندان النظام ومطرقة الإرهاب.

2- البعد الاجتماعي:

تتعلق رؤية الكاتب "بشير مفتي" في روايته، من حتمية الخوف المفروض على المجتمع الجزائري، خلال العشرية السوداء، المرحلة التي تخللها العنف والرعب منذ بدء الصراع الدائر بين نظام الحكم والجماعات الإسلامية المسلحة، مما أحدث شرخا عميقا داخل النسيج الاجتماعي، بين أبناء الوطن الواحد، "بل لا أحد يقدر على الإجابة والدم يسيل في الطرقات وجو اللاطمئينة يحتل النفوس ويقهرها.. يقهرها ويذلها.. هذا الشعب المغبون، وهذا البلد المتصدع"⁽²⁾.

تعرض الفرد الجزائري لكل أشكال الذل والقهر، ففي الوقت الذي ظن الشعب الجزائري أنه سيعانق الديمقراطية، وجد نفسه يعيش المآسي ومسلوب الكرامة، وتفشي الجريمة بأبشع أشكالها، كان نتاجها خراب ودمار على المستوى المادي والنفسي، فلم يعد

¹ - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 85.

² - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 11.

للفرد الجزائري حديث إلا عن الموت، "إنه الأحد صباح متشائم وأسود لا حديث للناس إلا عن المجزرة وكيف حدثت، لم يعرض التلفزيون إلا بعض الأجساد المقطعة وبرك الدم التي لطخت الأرض، أما الصحافة فلقد صدرت بالأبيض والأسود، واحتلت الصفحة الأولى صور الأطفال المذبوحين وكتب مجزرة أخرى تؤدي بمائة وسبعين جزائريا إلى المقبرة... كنا قد تعودنا على الاغتيالات المبالغثة، السيارات المفخخة، القنابل المتفجرة، ثم جاءت مرحلة المجازر الجماعية"⁽¹⁾.

كل ذلك جعل المجتمع الجزائري يدخل في دوامة من الخوف نتيجة التطرف الحاصل الذي يعد "ظاهرة اجتماعية تاريخية تجد أسبابها الحقيقية في الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي يسود فيها العنف والقهر والفقر والحرمان، فالتطرف كغيره من الظواهر الاجتماعية والثقافية، لا يكون من لا شيء، بل هو في الأغلب العام عبارة عن رد فعل ضد تطرف آخر يجري في جسم المجتمع، إما في شكل ظلم اجتماعي أو في صورة حيف اقتصادي أو قمع ثقافي"⁽²⁾، تضافرت الأسباب لتشكل أكبر صور العنف والقهر والخوف التي عرفت الجزائر بعد الاستقلال.

يشير الكاتب إلى أن سنوات التسعينات أدخلت الوطن في دوامة من الخوف والرعب، إثر التوتر السائد الذي جعل من الموت مصير محتوم، وبلوغ الهمجية ذروتها، إلى حد إهانة ذات الفرد الجزائري، ودفعها للانتحار والسقوط في مهاوي عديده "نعم.. وردة انتحرت.. مثل غيرها.. كثيرون انتحروا في هذه الدولة... وكثيرا دخلوا حالات الجنون.. وكثيرون ماتوا.. والبقية تأتي.."⁽³⁾، فأضحى الموت هو السيد والحكم في الزمن المتخيم بالأحداث والوقائع الرهيبة، مما أفرز اليأس في نفوس الجزائريين، من جراء بشاعة المشاهد الأليمة، فلا شيء يبعث بالأمل في النفوس، في ظل الأوضاع الاجتماعية

¹ - المصدر نفسه، ص 27.

² - محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، ص 134.

³ - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 42.

المزرية، والاغتيالات العشوائية، فالبقاء على قيد الحياة في حد ذاته انتصار، وهي حتمية فرضتها الحرب الأهلية التي وصفها السارد (ب) بأنها الثورة التي "تهدم دون ان تبني، تاريخ من العنف، سنوات من الجوع أعوام من الحزن، رقاب تطير، رؤوس تقطع ومباني تسقط"⁽¹⁾.

ويعتبر كل هذا عبارة عن مخلفات افرزتها العشرية السوداء، فالناس لم تعد تعرف الأمان والاطمئنان، بقدر ما تجرعت نفوسهم الذل والقهر والجوع والحرمان، فحتى أساليب العيش تغيرت "مجرد انه تأكل لحما.. تذكر عشرات الناس الذين لم يعودوا يتذوقون اللحم.. مجرد ان تحلم.. تخاف من ان هناك المئات لم تعد مثلك تحلم.. بل صارت حياتها كوابيس متواصلة"⁽²⁾.

فالكاتب يحاول تشخيص الواقع في هذه الفترة الزمنية المليئة بالتراجيديا، والتحولات الاجتماعية الطارئة، التي هزت كيان المجتمع الجزائري، وأدت إلى بروز العديد من الظواهر السلبية، على رأسها ظاهرة البطالة واستغلال الطبقة العمالية "أما فريق العمال فهم شبان تخرجوا من الجامعة وبحثا عن عمل في زمن البطالة يستغلون بأبشع الأشكال وأجرهم زهيد.. وعندما يموت أحدهم ترتفع الأصوات منددة بالجريمة النكراء"⁽³⁾، ذلك ان تقلص فرص العمل، ادى إلى تفشي البطالة وسوء المعاملة للطبقة الشغيلة، وما كان يتعرض له العمال من احتقار وتهميش، في ظل الانكماش الاقتصادي الناجم عن الفوضى الحاصلة داخل البلاد.

كما رصد الكاتب ذلك التفاوت الحاصل على المستوى المادي والمعيشي، داخل المجتمع الجزائري "عائلتك كانت بالنسبة لي طبقة بعيدة عني، تعيشون في برج عاجي.. لقد أخبرتك مرة بأن قصر عمك ببوزريعة أصابني بالغثيان. أماكن فاخرة.. أنت لا تحب

¹ - المصدر نفسه، ص 17.

² - المصدر نفسه، ص 49.

³ - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 45.

العمل تفضل حياة الفنانين البوهيمية المغامرة.. الكسل.. الكتابة.. الخيانة.. في النهاية أكتشف بأنني لا اعرفك جيدا.. وأنا عالمان متناقضان.. لا يمكننا أن نلتقي إلا في أشياء بسيطة⁽¹⁾، وانعكس ذلك على العلاقات والروابط الاجتماعية بين أبناء المجتمع الواحد، وأدى إلى ظهور الطبقة التي خلقت العديد من الفوارق بين الأفراد كما جاء على لسان "وردة قاسي" التي كانت جل أحلامها مادية: "اسمعي يا فيروز، انا لست مثلك أنحدر من عائلة مرتاحة معيشيا.. أنا ابنة اسكافي.. رجل على قدر حاله، لو قدر على اسعافنا بالغداء صباحا فإن العشاء يظل مشكلة تحيره.. أنا درست وتعلمت لكي أخرج من هذه الوضعية التعيسة، الشقاء كرهته"⁽²⁾، كل ذلك ينم على صعوبة التأقلم مع الفقر، وما يخلفه من أضرار مادية ونفسية.

بالإضافة إلى تلك السقطات الاجتماعية، يترجم الكاتب أشكال التكتيل والتفتيل التي كان يتعرض لها الفرد الجزائري في العشرية الدموية "لم نعد نعرف ماذا نحارب قطاع الطرق. أشباح، طائفة مريضة، جماعة مرتزقة.. ثوار بلحي طويلة.. أم مرضى يحرقون حتى الأطفال ويأكلونهم.. شيء مروع ما رأيته.. لكن أعداد القتلة كانت كبيرة.. كانوا يأتون من الجبال.. ويتمون جريمتهم ثم يمضون"⁽³⁾، فضاة الممارسات الوحشية التي طالت الصغار قبل الكبار، فتوالت المجازر الجماعية و "الصدمة... العنف والجريمة.. القتل والذبح والرؤوس المقطوعة والأجسام المغتصبة.. رجال ونساء وأطفال.. لقد اكتشفت ان ما كان يحدث هناك مروع جدا وفاجع للغاية.. إنه قيامة حقيقية"⁽⁴⁾، كلها مشاهد كررها الكاتب لهول الفاجعة، وشدة الذهول، امام ما تعرض له الشعب الجزائري خلال التسعينات، من خلال الاستحضار الدائم للموت وغيرها من الانتهاكات الغير انسانية في حق الأفراد.

¹ - المصدر نفسه، ص 74-75.

² - بشير مفتي، المراسيم والجنازات، ص 51.

³ - المصدر نفسه، ص 82.

⁴ - المصدر نفسه، ص 82.

وقد عمل الكاتب على عكس الحركة الاجتماعية الحاصلة داخل المجتمع التسعيني، فالرواية كما يقول صالح مفقودة: "تحاول كجنس أدبي أن تقدم أو تبرز امتلاكاً معرفياً وجمالياً للراهن الذي تصدر عنه زماناً ومكاناً، وامتلاك الراهن يعني: تقديم الحركة الاجتماعية روائياً، فالرواية مجتمع مصغر أو مقطع من مجتمع"⁽¹⁾، من خلال إسقاط تلك المشاهد السلبية، التي أدت إلى انهيار القيم داخل المجتمع، ونتج عنها "الانحدار الاجتماعي وسقوط قيمة العمل والإنسان.. غياب الفكر والوعي.. صعود ديكتاتورية الأغنياء وتجار الريح السريع.. الكارثة الآن في كل هذا.. العنف ما هو إلا محصلة لكل هذه الأزمات..⁽²⁾"، وهي ملامح اختلفت بين ما هو مادي كسيطرة الطبقة البرجوازية، وأصحاب الأموال المشبوهة، وما هو معنوي، كغياب الوعي واستعباد العمال، الناجم عن نقشي الفقر وانعدام القدرة الشرائية للمواطن البسيط، فذلك الواقع الراهن جسد أبشع آليات الاستغلال والنهب، وكأنه أبد يمر من دون بعد.

كما يبرز "بشير مفتي" المرأة كبؤرة لتلك الصراعات الجارية في مستويات عديدة، منها الاجتماعي والسياسي والثقافي والرمزي، فالمرأة كانت ترمز إلى العشق في زمن الهمجية، فالسارد (ب) كان متناقضاً في علاقته بالنساء يحب فيروز، ويعشق سارة حميدي، ويمارس حياته الجنسية مع أخريات، ويبرز الكاتب التمرد على أعراف المجتمع وتقاليده، والجهر بالمفاسد الأخلاقية، كما تقول فيروز عن تمرد صديقتها وردة قاسي: "كانت تسبح بخيالها.. تبكي..، تضحك، تمزح.. تقول أشياء كثيرة منها أنها إذا ما التقت برجل ما يحبها وتحبه فإن أول شيء ستطلبه منه هو أن يخلصها في أسرع وقت من عذريتها، كانت تلك المسائل تبدو تقليدية عندها إلى حد بعيد..⁽³⁾"، نفس فكرة التمرد التي صدرت عن فيروز عندما طلب منها السارد (ب) الزواج تقول: "الزواج هو عدو كل

1 - مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 31.

2 - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 77.

3 - المصدر نفسه، ص 51.

مبادئ التي أوّمن بها.. أفضل أن أعيش معك، كل تجارب العشق المجنونة والغريبة على أن ندخل في عمليات الامتثال لسلطة هذا المجتمع الغبي والتفه.. الذي يجعل من الزواج مؤسسة للتفريخ والإنجاب"⁽¹⁾، في صورة المرأة التي كانت ترى في تقاليد المجتمع قيود، حاولت إلا نعتاق منها، عن طريق ممارسة الرذيلة وانتشار الظواهر المنبوذة كشرب الخمر وفعل الموبقات "شيطان راح يحتثي على كل الموبقات.. لهذا صرت مثل الآخرين أشرب الخمر وأدخل المواخير كما سمحت لي إمكانياتي المادية بذلك دون مبالاة أو حسرة.."⁽²⁾.

يظهر مما سبق أن المجتمع الجزائري التسعيني كان مجتمعا سوداويا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، في زمن انقلبت فيه الموازين وتغيرت فيه القيم وتبددت الثوابت، من جراء العنف والدمار وأقصى أشكال الهمجية، وتوالي العثرات الاجتماعية في مختلف الجوانب المادية والمعنوية، وانهيار المنظومة الأخلاقية، وتفاقم الممارسات الغير انسانية وتراكم المشاكل الاجتماعية، كلها ظروف تكالبت على الفرد الجزائري، فرسّمت أبشع أشكال القهر والظلم الاجتماعي، في زمن لم يعد يحفل بما هو انساني "اليوم يتساقط الناس كالذباب مذابح، مجازر، انفجارات.."⁽³⁾.

3- البعد الإيديولوجي

يعبر الكاتب "بشير مفتي" من خلال روايته "المراسيم والجنائز" عن العديد من الأفكار، التي ترصد التوجهات الإيديولوجية لشخصيات الرواية، التي تؤرخ لسنوات الدم والرعب التي صنعها أصحاب الفكر المتطرف، خلال حقبة الدمار التي عاشتها الجزائر في تسعينات القرن الماضي، ذلك أن "الإيديولوجيات في الرواية إذن تكون عادة متصلة

¹ - المصدر نفسه، ص 91.

² - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 99.

³ - المصدر نفسه، ص 58.

بصراع الأبطال بينما تبقى الرواية كإيديولوجيا تعبيراً عن تصورات الكاتب بواسطة تلك الإيديولوجيات المتصارعة نفسها⁽¹⁾.

نجد أن كل شخصية داخل الرواية تحمل نظرة تجاه الأحداث العنيفة التي سادت الجزائر خلال فترة الأزمة، وبناء على تلك النظرة والميولات، يمكن استخراج المحمول الإيديولوجي للرواية، عبر شخوصها، حيث نجد من هؤلاء سعيد الهاشمي "هذا الشاب الطالع من السجن نتاج الشغب والخطب النارية، سيحتلون النفوس قبل الكراسي، لعنا جميعاً لم نقدر العواقب وكنا نظن أنهم حاملون مشعل الحرية والإنقاذ..⁽²⁾، يتجلى من خلال ذلك توجه "سعيد الهاشمي" المتطرف، والمعارض الذي كان وأتباعه يحملون شعار الحرية والإنقاذ، وأصحاب التغيير الفوضوي، الذين تسببوا في سفك دماء الأبرياء، الأمر نفسه لـ "منيرة" التي ماتت "في مظاهرة.. مع الإسلاميين، شيء لم أصدقه، أعرف أنها منتمية لهذا التيار منذ الثانوية قد لبست الحجاب.. وهي في الثانية والعشرين من عمرها.. قالت لقد اخترت طريقي"⁽³⁾، فهي أيضاً راحت ضحية اعتناقها للتيار التطرفي الذي أدخل البلاد في دوامة من العنف.

كما نجد العجوز "رحمة" التي تحمل روح وطنية جعلتها تتاضل من أجل الوطن خلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، والتي ظلت وفية لوطنيتها بعد الاستقلال، واختارت العيش بعيداً عن الأضواء، على المتاجرة بتاريخها وتاريخ بلادها من أجل أشياء تافهة لا تقارن بعظمة التاريخ، وهو ما جاء في قولها: "كنت أفضل الاحتفاظ بأيام نضالي لنفسي، على المتاجرة بذلك التاريخ العزيز.. كانوا يطلبون مني الحضور إلى الحفلات والمهرجانات والسهرات لتوزيع الأوسمة والشهادات الشرفية، كنت أعذر وأتحجج تارة بالمرض وتارة بالتعب... لم يكن عندي رغبة في دخول عالم القنوات الرسمية حيث

¹ - مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، ص 33.

² - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 10-11.

³ - المصدر نفسه، ص 58.

الزيف والنفاق والتجارة بكل شيء⁽¹⁾، فهي تجسد أرقى معاني الوطنية، وتمثل تيار الوطنيين الأنقياء، الذين راحوا ضحية الاعتداءات الإرهابية.

نلاحظ ان أغلب شخوص الرواية، تحمل فكرا يساريا، والذي يعد من أبرز الإيديولوجيات داخل المتن الروائي، فحميدي ناصر "كانت له ميولاته اليسارية، يحب الفعل، الممارسة والبركسيس ويعشق تنظيرات "غرامشي" ومغامرات ريجس دوبري"⁽²⁾، وهو ما يؤكد يسرياته، بالإضافة وصف السارد (ب) لغرفته مما يؤكد ميولاته اليسارية "حين رحت أنا أجوب الغرفة بعيني ماسحا الجدران المزخرفة بألوان قوس قزح وصور تشيغفار اوفيدال كسترو"⁽³⁾، فالكاتب من خلال ذلك يحاول ارساء الفكر اليساري، الذي يهدف إلى تغيير الأوضاع وتحقيق العدالة الاجتماعية، ذلك أن معظم الشخصيات اليسارية، التي وظفها مفتي تتحدر من عائلات فقيرة، لكنها شخصيات مثقفة، تناضل من أجل قضايا معينة ذلك أن "الشخصيات فيها لا بد أن تكون (مؤهلة) فكريا، لكي تحمل قضية ايدولوجية وتتحرك في وسط سياسي... يفرضها وضعها الطبقي وفكرها الايديولوجي، وأن تجادل وتصارع في الرواية من أجل ما تؤمن به وتدعو اليه"⁽⁴⁾.

في مقابل ذلك نجد "صالح سعدون" المنحدر من عائلة غنية، انتهازي استغل ظروف البلاد الحرجة لتحقيق مطامعه الشخصية، والذي يصرح بفكره المادي البراغماتي "الناس اليوم لا تفهم شيئا آخر إلا لغة المال.. المال يوحد كل العالم.. ليست الوطنيات والقوميات والأفكار إلا خرافات لم يعد أحد يثق بها.. أعطي أي واحد المال وسيبيع وطنه.. قومه.. نفسه"⁽⁵⁾، فهو يسخر من نضالات الوطنيين والقوميين ويفتخر بسلطة المال، ومن خلال ذلك فإن الشخصيات تكشف عن توجهاتها ومسار فكرها، عن طريق

1- بشير مفتي، المراسيم والجناز، ص 25.

2- المصدر نفسه، ص 28.

3- المصدر نفسه، ص 31.

4- طه وادي، الرواية السياسية، ص 247

5- بشير مفتي، المراسيم والجناز، ص 101.

كلامها وتصرفاتها، وكان للأصول الاجتماعية للشخصيات تأثير كبير على اعتناق إيديولوجيات دون غيرها فتعددت الإيديولوجيات بين اليساري والمتطرف والوطني والبرغماتي المادي، هي كلها توجهات برزت خلال فترة التسعينات الدامية.

4- البعد التاريخي:

لقد جسدت رواية "المراسيم والجنائز" التاريخ الوطني خلال الحقبة التسعينية، بأحداثه وظواهره الاجتماعية، حيث تصور مختلف التناقضات والصراعات داخل الجزائر وما تحمله تلك الفترة من آمال وآلام كافة الجزائريين، في سنوات عجاف عمها الخوف والعنف، كانت بدايتها مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، كما يرصد كذلك السارد (ب) "إذن ها هي الشوارع تعود إلى صورتها الأولى: كما لو أن 5 أكتوبر 1988 ما يزال على حاله... الصورة المخربة والمشوهة للمدينة التي طالما نعتت بالبيضاء"⁽¹⁾، فالكاتب يصدع بالتاريخ الذي قلب حياة الجزائريين إلى جحيم، وحول الجزائر البيضاء إلى مدينة خراب ودمار، في ظل العنف السياسي القائم بين المتطرفين والسلطة، يعود ليستشهد بتاريخ ثورة ماي 1968، التي قادتها الحركات الطلابية بفرنسا، والتي تزعمها رجال الثقافة والمفكرين "يذكرنا بثورة ماي 1968 ومشاركة المفكرين والمتقنين فيها"⁽²⁾.

كما وظف الكاتب جزء من تاريخ الجزائر المجيد، بدءاً من المسيرة النضالية للعجز رحمة التي خاضت نضالاً طويلاً ضد الاستعمار الفرنسي، لتتعرض بعد الاستقلال للتهميش وتتهم بالخيانة، وينتهي بها الحال في السجن، فهي التي كانت ترفض المتاجرة بتاريخ نضالها "عندما اندلعت الثورة. وجدتي منخرطة مع المجاهدين إلى غاية الاستقلال، كما تروي أيضاً أنا مجاهدة. لكن لم يحدث أن تحدثت عن ذلك من قبل، ولا أثبت ذلك بشهادة. وكنت أفضل الاحتفاظ بأيام نضالي لنفسي على المتاجرة بذلك

¹ - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 16.

² - المصدر نفسه، ص 16.

التاريخ"⁽¹⁾، فهي تمثل جيل المناضلين الشرفاء، الذين تعرضوا بعد الاستقلال للإهانة "في زمن بومدين كنت اناضل في الهامش نجتمع في هذا البيت مساء. نقرأ لبعضنا ثم دبروالي مؤامرة فدخلت السجن أغلب أصدقائي تخلوا عني... لم يندد أحد بذلك مع علمهم بأن التهمة باطلة.. أنا أدبر انقلابا في منزلي.."⁽²⁾.

ثم تكون نهايتها في العشرية السوداء، حيث وجدت جثتها متفحمة، فالكاتب أراد أن يجسد من خلال العجوز "رحمة" المراحل التاريخية الثلاث، من خلال تلك اللوحة التي ترصد تاريخ ما قبل وما بعد الاستقلال، ذلك التاريخ الذي يشكل العنف فيه عامل مشترك، حيث تمر ثلاث عقود حتى سيطرت المشاهد الدموية على الجزائر مرة أخرى، فبعد القهر الاستعماري ومسيرة الكفاح الطويلة من أجل افتكاك الحرية، يسقط أبناء الوطن الواحد في العقد التسعيني في فخ الخريف العربي، الذي ذكر الجزائريين بمرارة الاستعمار والانتكاسات المتوالية على الوطن أرضا وشعبا "إنه التاريخ مليء بالعنف والعذاب والاستعمار المتوالية.. هل يعود ذلك إلى أننا شعب ضحى كثيرا من أجل هذه الأرض المغتصبة ولم ينل أي شيء.. أفكر في جدودي القدامى. الذين عاشوا وماتوا تحت هيمنة المستعمر.. لم يروا قط نور الحرية.. ثم فينا نحن أجيال الاستقلال.. نحن الذين ولدنا خارج مناخ الدم والموت. القهر والعذاب لماذا يتحول التاريخ في أعيننا إلى كابوس نود لو نستيقظ منه.."⁽³⁾.

فالتاريخ الجزائري الذي كان في فترة الأزمنة يشبه إلى حد بعيد ما عاشه الأجداد في نضالهم من أجل الحرية في زمن المستعمر، حيث تعرض الشعب لكل أنواع التتكيل، من قتل وتشريد، كل تلك السياسات القمعية عايشها الفرد الجزائري خلال العشرية السوداء، وكأن التاريخ يعيد نفسه في ظل جشع النظام الحاكم وتشدّد الجماعات الإرهابية

1 - المصدر نفسه، ص 25.

2 - بشير مفتي، المراسيم والجنائز، ص 24.

3 - المصدر نفسه، ص 32-33.

المسلحة، مما خلق عشيرة دامية تحولت فيها موازين القوى السياسية، وظهور قوى سياسية جديدة، بعد سيطرت الحزب الواحد في الفترة الممتدة من بداية الاستقلال والى غاية نهاية الثمانينات، ثم جاءت أحداث أكتوبر 1988، التي شملت كل مناطق الوطن لتعلن عن نهاية الاجماع الوطني، وتدخل الجزائر في دوامة العنف السياسي، الذي ولد استعمار جديد، تجلى في الأزمة التسعينية، كما يأتي على لسان السارد (ب): "الآن ساعة يدي تشير إلى الرابعة مساء. نحن في سنة 1995.. أعوام من الأزمة.. لقد تعودنا على ذلك.. مثل انفجار قنبلة وموت عشرين شخص.."(1).

من خلال ما سبق نجد بأن الكاتب يؤرخ للمحنة الوطنية، ويحدث مقاربة بين مرحلة ما قبل الاستقلال، مرحلة الكفاح والنضال الوطني، ومرحلة ما بعد الاستقلال التي سادها الحزب الواحد، ثم المرحلة التي تلتها نهاية الثمانينات، بعد ظهور قوى سياسية جديدة وما نتج عن ذلك من العنف السياسي الذي زرع استقرار وأمن البلاد.

¹ - بشير مفتي، المراسيم والجنازات، ص 88.

الخاتمة

من خلال هذا البحث والتقصي في رواية "المراسيم والجنائز" حول الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية المعاصرة، تم التوصل إلى جملة من النتائج تمثلت في ما يلي:

(1) إن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية سلطت الضوء على الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، منذ ظهورها في السبعينات بعد الاستقلال، رغم أنها جاءت متأخرة عن مثيلاتها المكتوبة باللغة الفرنسية، التي لا تقل أهمية عنها من حيث مضامينها وبثها للحس الوطني.

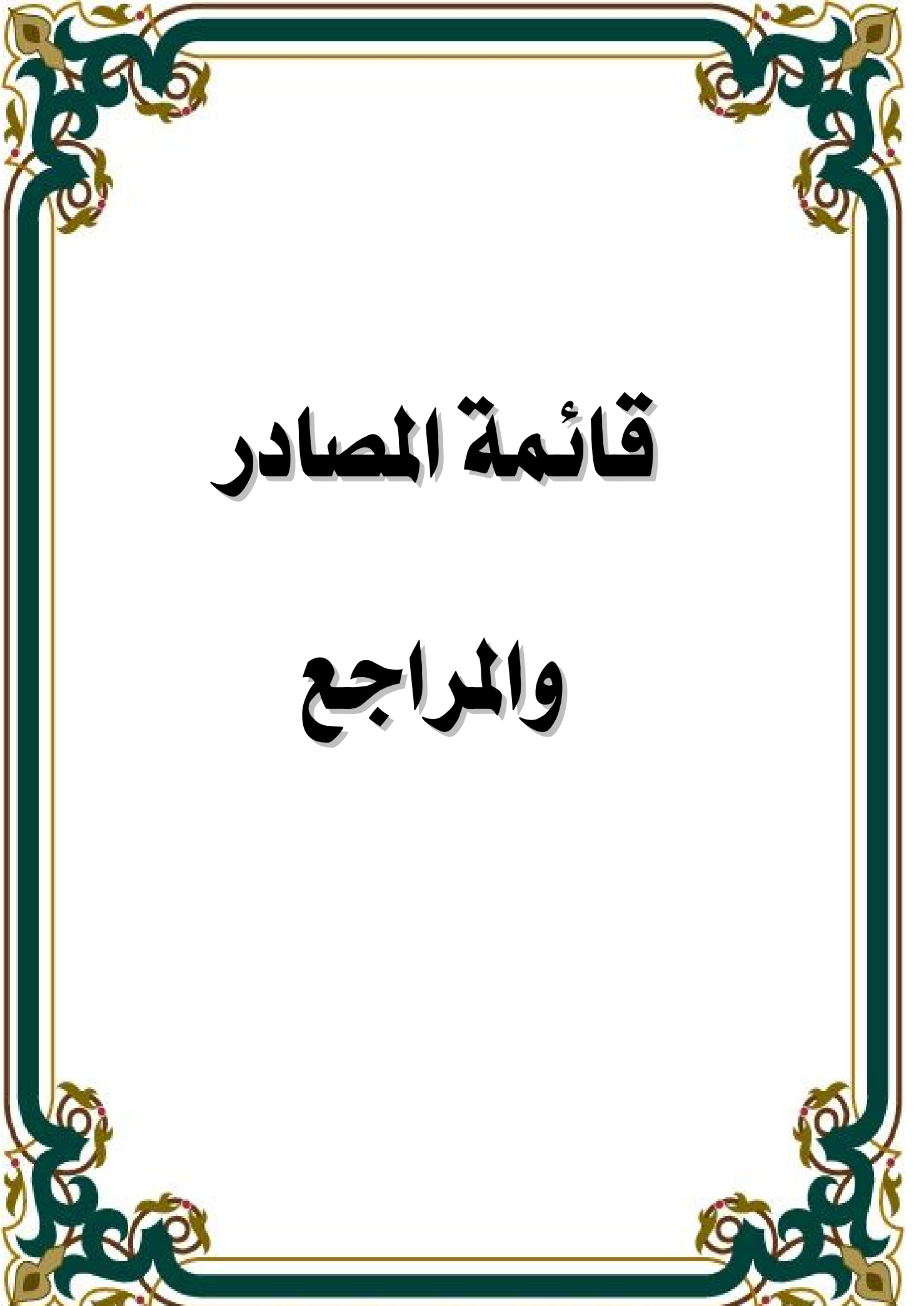
(2) سايرت الرواية العربية الجزائرية الواقع في مختلف المراحل التاريخية، كما تأثرت بالتقلبات السياسية الحاصلة خصوصا في فترة ما بعد الاستقلال التي تميزت بالمناخ السياسي الثابت، وتحول الخطاب الروائي بتحول الأوضاع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات، وظهر ما أطلق عليه بأدب الأزمة، الأمر الذي دفع بالكثير من الروائيين إلى توظيف المواقف السياسية والإيديولوجية ضمن المتن الروائي، للبحث عن الجذور الحقيقية للأزمة انطلاقا من الواقع.

(3) إن رواية "المراسيم والجنائز" تمثل شهادة واقعية على الأزمة الوطنية خلال التسعينات، وتتطوي على كثير من مواقف المؤلف السياسية والفكرية بالدرجة الأولى، والتركيز على الوضع الاجتماعي والعنف السياسي الذي ولده الصراع حول السلطة، وتصوير عالم مليء بالبؤس والقمع والحرمان، وتوظيف الكاتب للشخص المتقفة التي جعلت النص الروائي يغتني بالخطابات المتعددة والمختلفة، الأمر الذي أعطى للرواية صبغة المعقولية والتجانس، وهاجس الحرية والانعقاد من الواقع المأسوي الذي عاشه الشعب الجزائري في العقد التسعيني.

(4) تحمل رواية "المراسيم والجنائز" في طياتها عدة أبعاد أبرزها البعد السياسي الذي شكل من خلال الرؤية السياسية للكاتب الذي ندد بشعار الحرية والديمقراطية الزائف، الصادر عن السلطة، وبشاعة الأعمال الإرهابية التي جاءت تحت شعار الإنقاذ، كما أن البعد

الاجتماعي هو انعكاس للعنف السياسي الذي خلف مجتمعا تغيرت فيه القيم وتبددت فيه الثوابت، وسيطرت عليه مشاهد الخوف والموت والقمع والدمار، مما أدى إلى انتشار الآفات الاجتماعية بسلبيتها، وتعرض الإنسان الجزائري لكافة أشكال الاستبداد في ظل غياب الإنسانية.

5) أما البعد الإيديولوجي فجاء متنوعا بتنوع أفكار وآراء الشخصيات المثقفة داخل الرواية التي تخللها الثراء الإيديولوجي بين اليساري والتطرفي والوطني والبرغماتي المادي، في حين البعد التاريخي تجلّى في المقاربة التي أحدثها "بشير مفتي" بين المراحل التاريخية الثلاث، في فترة الكفاح الوطني ضد المستعمر وفترة ما بعد الاستقلال وفترة العشرية السوداء، فالصراع هو النقطة المشتركة بين المراحل الثلاث.



قائمة المصادر

والمراجع

- v أولاً: القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع.
- v ثانياً: المصادر والمراجع.
1. أحمد أبو سعد: فن القصة، ج 1، منشورات دار الشرق الجديدة، د.ط، 1959.
 2. أحمد قاسم سيزا، بناء الرواية - دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، د.ط، 2004.
 3. أحمد محمد عطية، الرواية السياسية، مكتبة مدبولي (دراسة نقدية في الرواية العربية السياسية)، القاهرة، د.ط، د.ت.
 4. بشير مفتي، المراسيم والجنائز، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 1998.
 5. بن قينة عمر، في الأدب الجزائري الحديث تاريخاً وأنواعاً وقضايا وأعلاماً، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1995.
 6. جلال الدين محمد احمد المحيي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تفسير الجالين، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
 7. ابن جني، الخصائص، دار الهدى، بيروت، لبنان، ط2، د، ت.
 8. ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل، د.ط، 2005.
 9. رابع بوحوش، الأسلوب وتحليل الخطاب، مديرية النشر، جامعة باجي مختار، عنابة، د.ط، د.ت.
 10. سمير سعدي، النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 2005.
 11. طه وادي، الرواية السياسية، الشركة المصرية العالمية للنشر لونغمان، القاهرة، ط1، 2003. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.
 12. عامر مخلوف، الرواية والتحويلات في الجزائر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000.

13. عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1999.
14. عبد الله العروي، الإيديولوجيا العربية المعاصرة، تر: محمد لعيتاني، دار الحقيقة، بيروت، د.ط، 1970.
15. عزيزة مريدن، القصة والرواية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 1971.
16. الغزالي، المستصفى في علم الأصول، ج1، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط1، 1997.
17. أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج3، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، 2006.
18. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
19. الكفوي، الكليات، القسم الثاني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، 1982.
20. محمد خضر سعاد، الأدب الجزائري المعاصر، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، 1967.
21. محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، (دراسة تحليلية نقدية)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، 1994.
22. محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1999.
23. محمد مصايف، الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام، الدار العربية للكتاب، د.ط، 1983.
24. محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983.

25. مصطفى الصاوي الجويني، في الأدب العالمي القصة، الرواية والسيرة، منشأة المعارف الإسكندرية، د.ط، 2002.

26. مفقودة صالح، المرأة في الرواية الجزائرية، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 2009.

v ثالثاً: المعاجم

1. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج 1، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، د.ط، د.ت.

2. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

3. فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للنشر المتحدين، تونس، د.ط، 1988.

4. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، مج 2، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، مادة، خ_ط_ب.

5. محمد بن أبو بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، إخراج دائرة المعاجم في مكتبة لبنان، لبنان، د.ط، 1986، مادة خ.ط.ب.

v المراجع الأجنبية المترجمة:

1. جاك راسينبر، سياسة الأدب، تر: سهيل أبو فخر، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، د.ط، دمشق، 2011.

2. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد لحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2008.

3. سارامليز، مفهوم الخطاب في الدراسات الأدبية واللغوية المعاصرة، تر: عصام خلف كامل، دار فرحة للنشر والتوزيع، السودان، د.ط، 2003.

4. فان ديك، النص والسياق، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، د.ط، 2000م.

v خامسا: المجلات والدوريات.

1. حفناوي بعلي، جامعة عنابة، هاجس الحداثة وإشكالية العنف في رواية جيل الأزمة، أعمال الملتقى الدولي الثامن للرواية عبد الحميد بن هدوقة، مديرية الثقافة لولاية برج بوعرييج، 2004.

2. نوال بن صالح، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية وثورة التحرير صراع اللغة والهوية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد 7، 2011.

v سادسا: الرسائل الجامعية.

1. زهرة خفيف، الخطاب السياسي في الرواية الجزائرية غدا يوم جديد أنموذجا لعبد الحميد بن هدوقة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، قسم اللغة العربية وآدابها، 2009/2008.

2. سعاد حمدون، صورة المثقف في روايات بشير مفتي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: د. لبوخ بوجملين، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2009/2008.

3. هدى عبد الغني إبراهيم باز، تحليل الخطاب السياسي عند مصطفى كامل، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، كلية الألسن، قسم اللغة العربية، جامعة عين الشمس، 2014.

فهرس الموضوعات

الموضوعات	الصفحة
شكرو عرفان	/
مقدمة	أ-د
مدخل : قراءة في العنوان	
1 - مفهوم الخطاب.	6
أ - مفهوم الخطاب في الفكر العربي.	6
ب - مفهوم الخطاب في الفكر الغربي.	11
ج - الخطاب السياسي.	12
2 - مفهوم الرواية.	14
أ - تعريف الرواية لغة.	14
ب - تعريف الرواية اصطلاحا.	15
الفصل الأول : نشأة الرواية الجزائرية وعلاقتها بالسياسة	
1 - نشأة الرواية الجزائرية.	19
أ - نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية.	19
ب - نشأة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.	23
2 - واقع الرواية الجزائرية.	26
3 - علاقة الرواية بالسياسة.	30
4 - تعريف الرواية السياسية.	34

39	5 - ملامح التعبير السياسي في الرواية الجزائرية.
الفصل الثالث : مضامين الخطاب السياسي في رواية "المراسيم والجنائز" لبشير مفتي	
48	1 - البعد السياسي.
59	2 - البعد الاجتماعي.
65	3 - البعد الايديولوجي.
68	4 - البعد التاريخي.
73-72	خاتمة
/	قائمة المصادر والمراجع
/	فهرس الموضوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملخص:

تميزت رواية "المراسيم والجنائز" بالنزعة التجديدية من حيث المضمون ومعالجة الواقع، أما الخطاب السياسي، فهو لا يوظف لإضفاء البعد السياسي في الرواية فقط، بل يستعمل لغاية جمالية، من خلال ما يعطيه للنص الروائي من خصوصيات فكرية، كما يعد "بشير مفتي" من الروائيين الذين عمدوا إلى اقتحام الموضوعات الحساسة التي لعل أبرزها السياسة، التي شكلت محورا هاما في الرواية الجزائرية المعاصرة، انطلاقا من استقراء الواقع، وما يحمله الخطاب السياسي من مضامين تعبر عن تصورات وتوجهات معينة، فالمراسيم والجنائز تعتبر شاهد من شواهد الأدب الروائي الجزائري الذي عالج ظاهرة العنف والانحراف السياسي وما تراكم عنه من أحداث على أرض الواقع، كما أرخت لحقبة جديدة في الرواية العربية الجزائرية الساعية للتجديد والحداثة، فالعشرية السوداء كانت بمثابة نقطة تحول في الرواية الجزائرية وطفرة جيل جديد من المبدعين الجزائريين.

الكلمات المفتاحية: الخطاب السياسي، الرواية الجزائرية المعاصرة، المراسيم والجنائز

Résumé:

Le nouvel "cérémonies et funérailles" est caractérisé par sa tendance innovatrice dans le traitement de la réalité quant au discours politique il ne l'utilise pas pour donner une dimension politique à sa nouvel seulement , mais il l'utilise à des fins esthétique à travers ce qu'il donne au texte de la nouvel comme particularités intellectuelle «Bachir Mufti » est aussi considéré comme l'une des nouvelliste qui a fait exprès d'introduire des sujets délicat dont le plus sensible est la politique qui a formé u axe dans la nouvel algérienne contemporaine à partir de l'extrapolation de la réalité et tout ce que possède le discours politique comme contenus reflétant des conceptions et des orientations spécifiques. la nouvel cérémonie et funérailles est considéré comme l'une des tenons de la littérature algérienne qui traite du phénomène de la violence et l' écart politique et ce qui l'on incombe d'événements sur le terrain elle a aussi détendu pour une nouvelle ère dans la nouvel arabe algérienne qui quête le renouveau et la modernité la décennie noire était une tournant dans la nouvel algérienne et la percée d'une nouvel génération innovateur algériens.

Mots Clé: Le discours politique, Algérie roman contemporain, Décrets et enterrements